الفصل الثالث: التبادل الحواري ووحدة عناصر القص

(يرصد هذا الفصل للتبادل الحواري الواقع في خطاب خاص لمرسل ومتلق واحد، مع غلبة حديث النجوى، وهم أبناء سيدنا يعقوب عليهم السلام، وهذا المرسل يمثل الشخصية الرئيسة الثانية والفاعلة في جوهر الحدث والبناء القصصي ، و بالتأكيد ستكون أحداثها مخالفة لتوجهات المرسل الأول (سيدنا يوسف) وسيدنا يعقوب، كذلك يختص هذا المرسل بحلقات اتصال محددة:(الأب – الأخ – الأسرة - فتيان الملك) وتقاطعها داخل لحمة الخطاب، محددا بوجود العناصر السابقة...).

هذا هو المرسل الثالث في سورة يوسف عليه السلام، من جملة إحدى عشرة شخصية تضمنتها هذه السورة، ونعني بأبناء يعقوب الإخوة الكبار:(إخوة يوسف لأبيه) و(الأخ الأصغر الشقيق...). أما الآيات التي نطق بها المرسل (أبناء يعقوب) داخل السورة، فكانت عبر أربعة متلقين على النحو الآتي:

أولاً: حديث الإخوة مع بعضهم البعض:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعلينَ (١٠)﴾.

وقوله تعالى:﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عليكم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُواْ إلى أَبِيكُمْ

﴿فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)﴾.

التفسير المقاصدي لخطاب المرسل عامة (أبناء يعقوب):

المعروف أن يوسف وأخاه كانا أصغر الأبناء، وقد وُلِدا ليعقوب على تقدم من سنه، وفترة من قوته، وفي النفس البشرية، رقة لأصغر الأبناء، ظنًّا أن الأب الشيخ لن يبقى لهم على قيد الحياة، حتى يشبوا عن الطوق، ويبلغوا أشدهم ليستغنوا عنه، وأنه إن تركهم فلن يأمن الجو، ولا غائلة الأيام، وهكذا يزداد للصغير رقة على رقة، وهذا ما كان من يعقوب ليوسف وأخيه، مما أثار غيرة الإخوة الكبار، حتى بلغ بهم الأمر مبلغ الكيد والمؤامرة.

ولو أن يوسف وأخاه كانا شقيقين لكبار الإخوة، فلربما وسعهما حلم الإخوة وصبرهم، أما وهما من أم أخرى غير أمهم، فلطالما أفسدت أحقاد الضرائر قلوب أبناء الضرائر، لكن إخوة يوسف لم يكونوا قتلة محترفين، يقتلون لشهوة القتل، وإنما كانوا يريدون التخلص من يوسف أولًا وأخيرًا، ومن ثم لم يكن كيدهم ليوسف قاصرًا على إرادة القتل خيارًا وحيدًا، وإنما كان: ﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: ٩][1].

ويظهر على هذا الخطاب اتفاق سلوك المرسل والمستقبل، حيث الاتفاق الزماني والمكاني المحددين لحالة الاتصال مع تبادل الأدوار، فمن يقوم بالإرسال، يقوم في الوقت نفسه بالاستقبال، مع تساوي السياق الموقفي واتحاده.

(١) تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ج٢، ص٣٥٦.

أما الصورة الإجمالية التي يمكن أن نسلم بها بدءًا في سلوك المرسل، فهي أن أغلب خطابه جاء في صورة تبريرات ودفوع، ذلك أنه يبرر الكثير من القضايا التي كان مشاركًا فيها، كإلقاء سيدنا يوسف في الجب، وطلب البيع، ودحض ظنون سيدنا يعقوب فيهم، كذلك يلحظ على هذا الخطاب أنه خطاب جماعي، لا يمثل وجهة نظر فردية، إنه خطاب يلونه السلوك الجمعي في الأداء، ولذلك ستكثر فيه الأفعال المسندة إلى الخطاب الجمعي.

يناسب الخطاب أيضًا حال المرسل، والذي يمتهن حرفة التجارة، والنقل والرعي والسعي بين الكثير من المناطق، ولذا سنلحظ على الخطاب الكثير من المحددات الأسلوبية، التي تنحو هذا النحو.

دائرة الخطاب الخاصة بهذا المرسل كثيرة، مما يعني فاعليتها في سياقية الحدث، وقد اختص خطابها داخل السورة بالعديد من الأطراف، فضلًا عن التحاور مع الشخصيتين الرئيستين في القصة: (سيدنا يوسف - سيدنا يعقوب عليهما السلام).

وبالرغم من سيطرة السلوك الجمعي على خطاب إخوة يوسف، إلا أن مساحة التشاور والنقاش كانت موجودة، بما يعني اعتماد التفكير والمنطق آلية مهمة عند أخذ القرار، الأمر الذي سيؤثر قطعًا على بنيات الخطاب التي اعتمد عليها المرسل/ إخوة يوسف عليهم السلام.

يتساوى أيضًا خطاب المرسل مع العناصر الرئيسة في التلقي، فالمدى الزمني المستخدم مع يوسف عليه السلام يتوازى مع المدى الزمني المستخدم مع المتلقي الثاني يعقوب عليه السلام، طبقًا لعدد الآيات. جاء خطاب المرسل داخل السورة موزعًا داخل بنية القص الموجودة بالسورة بالكامل في الاستهلال والمقدمة والحدث والصراع و الحل، وأن أول حوار وقع بين المرسل وأطراف

الخطاب، كان مع سيدنا يعقوب عليه السلام ، واختتم الخطاب بسياق جمعي ضم بعض أطراف الخطاب التي شاركت المرسل:(سيدنا يوسف - سيدنا يعقوب - إخوة يوسف - الأسرة بالكامل).

١ - حديث القتل والتآمر:

قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعلينَ (١٠)**﴾[يوسف: ٨ – ١٠].

وأول ما يلفت النظر حول هذا الخطاب، هو البعد عن اعتماد الأدلة المنطقية والعقلية، حيث إن التخلص من يوسف وأخيه، ليس مبررًا لكي يأنس الأب للإخوة الكبار دون الصغار، وكذلك لا يعني وجود الأخ الصغير بجانب الأخ الكبير، أن يستحوذ الصغير على قلب الأب دون الكبير.

فالقضية في أساسها ليست منطقية، وقد بنيت أطرافها على مبررات ظنية لا ترتبط بالواقع المعروف عن سلوك النبي يعقوب عليه السلام، وليس القصد من القول:﴿**وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾ [يوسف:٨]، وضع الطرفين (يوسف وأخوه) و(الإخوة الكبار) في قياس أو مقارنة، ذلك أن قياس الغلبة في الفعل، لم يكن واردًا في ذهن أبناء يعقوب، فيوسف عليه السلام لا يزال صغيرًا، لكن القصد هو قدرتهم على تنفيذ أوامر الأب ورغباته، والقيام بما يطلب، فهم عصبة تغنيه عن الصغيرين.

ويبدو أن مساحة المشاعر التي كانت سببًا في تفكير الأبناء في التخلص من يوسف، حتى يخلو لهم وجه أبيهم، وهي حبهم لأبيهم، ورغبتهم في الاقتراب

منه، هي نفسها مساحة المشاعر التي كانت سببًا في النيل ممن يقترب منه، ومن الحب ما قتل.

وربما كان يعقوب عليه السلام أكثر حرصًا على الصغيرين، في مجتمع يغلب عليه التنقل والرعي، وسط هوام الصحاري وضواري الفيافي، ومع الصغر يكون الحرص أكثر، ولم يكن يعقوب عليه السلام في ضلال مبين بهذا الإيثار أو التفضيل كما ظن الإخوة الكبار، لكنه الصغر، وحداثة السن والخوف من غوائل الزمن على صغيرين ولدا لأب طاعن في السن.

لقد كان الحرص على التخلص من يوسف عليه السلام، أكثر من الحرص على التخلص من أخيه الصغير، ومع التفكير في الفعل رغبة في الاقتراب من الأب، نجد سلوك الرحمة باديًا في مشورة الأخ الأكبر الذي نصحهم بعدم القتل، والاكتفاء بالتفرقة بينهما أي بين يوسف وبين الأب:﴿**لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعلينَ**﴾، ويبدو أن الأخ الأكبر لمح إصرارًا في سلوك الإخوة فنصحهم بعدم القتل. كذلك يعطي مضمون الآيات الدلالة غير المنطقية لسلوك الإخوة، والتي يمكن رسمها كالآتي:

المقدمات: قال تعالى: ﴿**لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا مِنَّا**﴾[يوسف:٨](١)

﴿**وَنَحْنُ عُصْبَةٌ**﴾[يوسف:١٤] (٢)

﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ [يوسف:٨] (٣)

﴿**اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا**﴾[يوسف:٩] (٤)

السبب: قال تعالى: ﴿**يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ**﴾(يوسف:٩) (١)

﴿**وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾(يوسف:٩) (٢)

ومن سمات الخطاب المنطقي والتفكير السليم أن تفضي المقدمات المدعومة بالأسباب إلى نتائج إيجابية، وهو الأمر الذي لم يتحقق للإخوة، ذلك أن قلب الأب أصبح متعلقًا أكثر بالابن الغائب، وابيضت عيناه من الحزن ، حتى دارت حكاية النص كلها في السورة حول غياب الابن ووقت رجوعه للأب.

القوة الإنجازية في الخطاب:

جاء الخطاب معبرًا عن وجهة نظر مجموعة وليس فردًا، ومن ثم تمت الاستعانة بالمحددات الأسلوبية التي تخص الجماعة على حساب الفرد، أما المتلقي فهو المرسل في الآن نفسه:(إخوة يوسف عليهم السلام) والأفعال مسندة إلى واو الجماعة:(قالوا - اقتلوا - اطرحوه - تكونوا - كنتم) وكذلك ضمائر المتكلم الخاصة بصيغ الجمع المضافة للأسماء:(أبينا - أبانا - أبيكم) وكذلك الضمائر:(نحن - لكم - منا - منهم) وكذلك المفردات المعبرة عن الجمع:(عصبة - قوم - فاعلين).

تشارك أكثر من طرف في صوغ خطاب المرسل (إخوة يوسف)؛ حيث يلحظ من الخطاب، اشتراك أكثر من مرسل مع أكثر من متلق في صورة حوار جماعي أو نجوى بين الإخوة وبعضهم البعض، نلحظ هذا التبادل الحواري في المخطط الآتي، والذي يوضح استراتيجية (المخاطب والمتكلم):

المرسل ←— إخوة يوسف ←— داخل إطار السورة عامة

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾ ←— (متكلم يعبر عن رأي الجماعة).

قال تعالى:

﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ← (متكلم يخاطب الجماعة ناصحًا لهم).

قال تعالى:

﴿لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعلينَ﴾ ← (متكلم يخاطب الجماعة ناصحًا لهم).

وكل المتكلمين السابقين يعبر عنهم بسلوك المرسل، وإن كانت الحالة الاتصالية واحدة، ولأهمية القضية واستحواذها من خطاب المرسل على حيز كبير، نجد المرسل يكرر اسم (يوسف عليه السلام) للتأكيد على أهمية النيل أو التخلص منه، كذلك جاء التكرار عبر بنيات لغوية أخرى مثل: (أبينا -أبانا -أبيكم) للتأكيد على منزلتهم من أبيهم وحبهم له.

وعلى مستوى استخدام الأفعال الدالة على الحركة ونقيضها نلمح

استخدام الأفعال الدالة على الحركة ورغبة الإنجاز الفاعلة عند التفكير في النيل من سيدنا يوسف، مثل: (اقتلوا – اطرحوه – ألقوه – يلتقطه) في مقابل الأفعال الدالة على المشاعر، التي لم يلجأ إليها أحد وبخاصة (الأخ الأكبر) الذي لم يذكرهم بمنزلة أخيهم وحبه لهم، ومنزلته من أبيه ، ورباط الأخوة المقدس الذي يجمع بينهم ، مع الانصراف للتدليل العقلي الصرف: (يخلو لكم وجه أبيكم).

يلاحظ أيضًا من خلال اللوحة السابقة، أن المشاعر السلبية التي سيطرت على أبناء يعقوب الكبار كانت معروفة لدى أبيهم حتى قبل حدوث الرؤيا، لأن يعقوب خاف من أنهم إذا عرفوا برؤيا أخيهم سيكدون له كيدًا، وكان إخوة يوسف يحسون برابطة الإخوة بينهم إحساسًا قويًّا، قوة إحساسهم بغربة يوسف

وأخيه، إذ يصفون أنفسهم بلفظة (عصبة) ويجعلون هذا الوصف مقابلًا ليوسف وأخيه مرة، وليوسف فقط مرة أخرى: وكذلك: ﴿**قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُون**﴾ [يوسف:١٤].

تنطق الآيات أيضًا بأن قصد الإخوة لم يكن القتل، تبرمًا من يوسف عليه السلام، ولو كان ما ذهبوا إلى بدائل أخرى، كان القصد إبعاد يوسف عن وجه الأب فقط، ولذلك ترجحت لديهم أكثر من فكرة بخلاف القتل، مثل إلقائه في أرض بعيدة عن أبيه، أو الاتفاق على إلقائه في البئر، في تدرج عبر الآيات التي عبرت عن سلوك المرسل، والنجوى التي وقعت بين الإخوة:﴿**اقْتُلُواْ يُوسُفَ**﴾ أو ﴿**اطْرَحُوهُ أَرْضًا**﴾ أو﴿**وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ**﴾ مع رفض فعل القتل.

٢ - التمكين في الأرض وسلوك الإخوة:

يأتي هذا المشهد بعد أن مكن الله ليوسف في الأرض؛ فتولى إدارة الأمور في السنوات الأربع عشرة سمانها وعجافها، ولم تكن السنوات العجاف عجافًا على مصر فقط، بل كانت قاسية جدباء جائعة على البلاد الأخرى حول مصر، وجعلت القوافل تفد على مصر طلبًا للميرة من خلال التبادل السلعي، وكان يوسف يتولى بنفسه أمر تزويد هذه القوافل، والاتفاق مع حملة تجارتها، يأتي إليه الناس فيعقد معهم الصفقات، يأخذ منهم ما يعرضون، ويمدهم بما اختزنه من غلّة الأرض في ظل حسابات دقيقة لا تمس أقوات مصر.

وقد جاء إخوة يوسف مثل التجار، فعرفهم يوسف عليه السلام لكنه أسر في نفسه ألا يكشف لإخوته عمن يكون، وأن يخفي عنهم أمر نفسه حتى يبلغ منهم جمع شمله بأخيه وأبويه وبهم أيضًا، وأن يجعل ذلك مفاجأة للجميع، فمنع عنهم الكيل، وجعل بضاعتهم في رحالهم، وطلب إليهم أن يأتوه بأخ لهم من أبيهم، حتى إذا رجعوا إليه بأخيهم، اطمأن إليه أخوه.

وكان على الأخ أن يحفظ سر ما يدبره أخوه (يوسف) وإن كان هو محور التدبير، فجعل السقاية في رحل أخيه، ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون، وبعد التحاور مع يوسف عليه السلام في شأن الأخ الأصغر، وضرورة عودته مع إخوته:﴿**قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ(٧٩)**﴾ (يوسف ٧٨ - ٧٩).

عند ذلك يئسوا من أن يجدوا مخرجًا من هذه الورطة، ولم يكن أمامهم إلا أن يخلو بعضهم إلى بعض، ويتناجوا في سبيل الخلاص من هذا المأزق، فوقع هذا المشهد الذي صورته الآيات (٨٠، ٨١، ٨٢) على النحو الحواري الآتي، وفيه يظهر دور الأخ الأكبر ناصحًا ومعلمًا،[١] قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عليكم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾ (يوسف الآية ٨٠) وقال تعالى: ﴿**ارْجِعُواْ إلى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ**﴾ (يوسف الآية ٨١) وقال تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾(يوسف الآية ٨٢) والأخ الأكبر الذي قال لهم: ﴿**لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ**﴾ هو الذي قال للإخوة حين خلصوا نجيا ﴿**أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عليكم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ**﴾[٢] (يوسف الآية ٨٠).

(١) تمام حسان: البيان في روائع القرآن. القاهرة. مكتبة الأسرة، ٢٠٠٣، ج٢، ص٣٥٣ - ٣٨٢.
(٢) البيان في روائع القرآن، ص٣٥٦.

سلوك الهيئة الاتصالية

استعان المرسل في الآيات بالأدلة الواقعية، لكي يوضح عدم تفريطه في الأخ الأصغر، وبخاصة بعد الميثاق الذي قطعوه على أنفسهم لأبيهم ، مقدما الدليل العقلي من خلال التثبت من أهل القرية، التي كانوا فيها، وهم يكتالون، وكذلك حال القافلة التي كانت معهم، أو كانوا في عمومها: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [يوسف:٨٢].

كذلك عرض الحدث، وما كان من الأخ الأصغر وواقعة السرقة، وهو دليل يضاف إلى الدليل السابق:﴿**فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ**﴾ [يوسف:٨١].

اعتمد أبناء يعقوب عليهم السلام في عرض القضية على المعطى السلوكي أو الإيماني؛ وذلك من خلال الاتكاء على المفردات أو البنيات المحملة بمثل هذه المعاني، من ذلك:﴿**وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ**﴾ [يوسف:٨١] وكذلك قوله تعالى: ﴿**... وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ [يوسف:٨٢].ووصولا إلى اعتماد هذه الأدلة بقصد الإقناع استعان المرسل ببعض صفات الربوبية للتصبر أو الاطمئنان أو الإقناع أو التفويض، من ذلك قول المرسل:﴿**حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين**﴾ [يوسف:٨٠]. لقد جاء الخطاب مراعيًا الرتبة الاجتماعية من قبل الكبير إلى الصغير، حيث جاءت الرسائل التذكرية على لسان الأخ الأكبر الذي ذكر الإخوة بميثاق الأب يعقوب: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عليكم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ**﴾ [يوسف ٨٠].

ظهر المرسل أيضا في الآيات ناصحًا ومرشدًا مع الاعتماد على بنية الأمر التي تناسب الرتبة الاجتماعية من الكبير إلى الصغير: ﴿**ارْجِعُواْ إلى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ**﴾ [يوسف:٨١] وكذلك مع اعتماد دلالة الحذف أي و قولوا:

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف:٨١] وقولوا:﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف:٨١] وكذلك: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢] وكذلك: ﴿وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢].

القوة الإنجازية للخطاب

كان المرسل واضحًا في خطابه الإنجازي، عندما عبر عن وجهة نظره في الحادثة بقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ [يوسف:٨٠] ويفهم من السابق إحساس المرسل بأن المتلقي (يعقوب عليه السلام) قد شك في رواية الإخوة، كما شك سابقًا في روايتهم عن سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ على مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:٨٣] وفي السابق تأكيد من المرسل على صدق الرواية، مع رجائه في أن يظهر الله الحقيقة: ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي﴾ [يوسف:٨٠] حيث تؤدي دلالة الحذف الكثير من الفعالية في مضامين خطاب الأخ الأكبر.

أقر المرسل أيضًا في خطابه لإخوته بتوثيق ثلاثة أشياء مهمة، عندما يرجعون إلى أبيهم يعقوب عليه السلام:

(إثبات السرقة أو وقوع حادثة السرقة).

(توثيق الشهادة بالعلم بالواقعة).

(الاعتذار بأنهم ما كانوا يعلمون الغيب، ولا يعرفون أن ذلك سيقع).

وقد جاء الإقرار والتوثيق في صورة مادة قانونية سليمة البناء، مع توافر عنصر الإقرار والتثبت؛ من ذلك التوكيد في القول:﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾[يوسف:٨١]

والاستثناء في: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا﴾[يوسف:٨١] مع الترفق بالمتلقي حال الإخبار، مع تأكيد براءة المرسل: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾[يوسف:٨١].

وبعد المواثيق التي قطعها الأب على أبنائه، إذ بالابن الثاني يتهم في حادث سرقة مدبر، الأمر الذي أوقع الإخوة في ورطة كبيرة بسبب الخوف على الأب، والقلق على الصغير، ومن ثم (خلصوا نجيا) ويبدو أن روح المشورة، كانت سائدة بين إخوة يوسف، وأنهم كانوا من الذكاء والحيطة، لوقوع هذه المناجاة بصورة سرية، للوقوف على حل، ولم تصدر أي أقوال أو آراء من باقي الإخوة، مثلما حدث في اللوحة الأولى، والتي كانوا يتباحثون فيها بشأن يوسف عليه السلام:﴿اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ قال كبيرهم:﴿لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ...﴾ ولربما تؤدي دلالة الحذف بعض المسكوت عنه في سلوك التحاور، الذي تم بين الإخوة، لكن خطاب الأخ الأكبر جاء مبينًا وكاشفًا، ولم يلزم غيره بأن ينحو نحوه، في أنه لن يرجع للأب، حتى يأذن له أو يحكم الله له في أنه لم يقصر في حماية الأخ الأصغر، وأن ما حدث هو الواقع كما حكي.

وبمقارنة خطاب المرسل في اللوحة السابقة، والتي شارك فيها نصحًا أو أمرًا بقوله:﴿لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعلينَ﴾ مع خطابه في هذا المشهد عبر الآيات:﴿أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عليكم مَّوْثِقًا مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين (٨٠) ارْجِعُواْ إلى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِين﴾ [يوسف:٨٠-٨١] يتضح أن المرسل كان سريعًا في عرض القضية، مستخدمًا الجمل البسيطة منجزة الدلالة، معتمدًا الأفعال الحركية لتساعد في دينامية الحدث، مناسبة لإتمام ما عزموا عليه من القتل أو التخلص من يوسف، لكونها مؤامرة تحتاج الحيطة والسرعة في مقابل محاولات استرحامهم ليوسف، كي يرجع الإخوة بالأخ الأصغر،

ويبدو أن الفعل (يأس) الذي يتضمن تعدد المحاولات واستنفادها، وانقطاع الأمل من الشيء، وانتفاء الطمع فيه[1] والذي ورد في قوله تعالى (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) جاء مناسبًا لحالة التصبر والمحاولة، ومن ثم جاء خطاب المرسل بطيئًا هادئًا معتمدًا على الجمل المركبة والبنية اللغوية الأكبر.

تغلبت الأفعال المحملة بالمشاعر على الأفعال الدالة على الحركة مناسبة لسياق الحدث، والذي يكشف رغبة الإخوة في العودة بأخيهم، وإحساسهم بمشاعر الأب الكبير عندما يعودون بغير أخيهم؛ نلاحظ الآتي: (خلص -علم - فرط - أذن - حكم - كان) وهي أفعال تدل على المشاعر في مقابل الأفعال التي تدل على الأداء الحركي مثل: (رجع - سرق - شهد - سأل - أقبل).

يعطي الخطاب أيضًا دلالة ثابتة على تحديد طرفي الاتصال: (المرسل الأخ الأكبر) (المستقبل إخوة يوسف) وأن بنية الخطاب في عمومها موجهة من المرسل إلى المتلقي، في صورة رسالة تنقل إلى متلق ثالث، وهو يعقوب عليه السلام، ويعني ذلك أن الطرف المتلقي الأول، يعتبر حامل رسالة لمتلق ثانٍ يعتبر هو المتلقي الأساسي المقصود به الخطاب، ويفهم حضور المتلقي الأول والثاني من خلال الآتي:

المرسل الرئيس المتلقي الأول للخطاب		المتلقي الثاني
الأخ الأكبر	أبناء يعقوب	يعقوب عليه السلام
﴿أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ...﴾	(✓)	(✗)
﴿يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ.....﴾	(✓)	(✓)
﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا...﴾	(✓)	(✓)

(١) الوسيط. ج٢، مادة يئس.

وهناك ملمح لغوي مهم، حفلت به سورة يوسف وهو بنية الاختزال والتكثيف، من خلال الاعتماد على بنية التعبير الاصطلاحي ذي النمط التعبيري الخاص، والذي يتكون من كلمتين أو أكثر، وهو تعبير ثابت غالبًا، ترتبط عناصره فيما بينها ارتباطًا دلاليا، ويستمد معناه من حصيلة المعاني المكونة له. وقد يطلق التعبير، ويراد به لازم معناه، فلا يكون المعنى الحرفي لعناصره هو المقصود تمامًا، وقد يعتمد التعبير على كلمة أساسية تتكرر في صورة أخرى، ويراد لازم معناه كذلك. وقد يكون مجازيًّا وهو كلي الدلالة باصطلاح أبناء اللغة[1].

وتنتشر في اللغات هذه الظاهرة، ويعتبر القرآن الكريم والحديث الشريف من المصادر العمد في مثل هذه التعبيرات، وهي ظاهرة تدل على مرونة اللغة و عبقريتها، وشيوع التعبير الاصطلاحي في لغة ما يحيل دومًا إلى تراثية اللغة وثبوتها، ومثل هذه التعبيرات تستهلك أو تأخذ وقتًا طويلًا حتى تحوذ الشيوع والثبات، وفي خطاب المرسل نستطيع أن نلحظ بعض هذه التعبيرات التي نالت شيوعًا وثبوتًا على النحو المذكور آنفًا، فضلًا عن شيوعها داخل سورة يوسف عليه السلام، من ذلك (فصبرٌ جميلٌ) (بدمٍ كذبٍ) (سولت لكم أنفسكم) (ثمن بخس) وغيرها.

ثانيًا: حديث الإخوة مع سيدنا يعقوب:

يقصد بالمرسل - كما سبق - أبناء سيدنا يعقوب، وتختلف الآيات الآتية عن الآيات السابقة في أن الآيات: ﴿**إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعلينَ (١٠)**﴾.

(١) حمدي النورج: النمط اللغوي الثابت في لغة نجيب محفوظ، القاهرة، لونجمان، ٢٠١٢، ص ٣٠.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عليكم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠) ارْجِعُواْ إلى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢)﴾ كانت بين إخوة يوسف عليه السلام وبعضهم البعض في حديث أقرب إلى السرية و النجوى، أما هذه الآيات: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤)﴾ وقوله تعالى:﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجِعُوا إلى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إليهمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إلينا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)﴾.

وقوله تعالى:﴿قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)﴾.

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧)﴾ فيمكن تقسيمها كما سبق طبقًا للموضوعات والمضامين المحملة بها الآيات، بحيث يمكن وضع المداخل الآتية لكل مجموعة آيات:

١-آيات المؤامرة:

قال تعالى:﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾(يوسف الآية ١١).

وقوله تعالى:﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(يوسف الآية ١٢) وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾(يوسف الآية١٤) وقوله تعالى:﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف الآية ١٧).

سلوك الهيئة الاتصالية:

كيف نفذت المؤامرة، وما سلوك المنفذ (المرسل) والوسائل التي استعان بها؟!

استهل المرسل خطابه للأب يعقوب عليه السلام بقوله (يا أبانا) جريًا على عادة العرب في مخاطبة الآباء، ويبدو أن هذا الأمر سبقته محاولات أخرى ظهرت فيها رغبة المرسل في الاستحواذ على قلب يعقوب، والغيرة من يوسف عليه السلام، ومحاولة النيل منه، دل على ذلك هذا الاستفهام في قولهم: ﴿مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا﴾ ومن أين عرف الإخوة أن يعقوب عليه السلام يخشى على يوسف منهم، إن لم تكن هناك محاولات سابقة، سواء بالإقناع أو الفعل، وأن يعقوب يرتاب في الأمر؟ وقد ورد المنادى بالتركيب (يا أبانا) مرتين، الأولى في محاولة انتزاع يوسف من أبيه، والثانية عند الرغبة في إقناع المتلقي (يعقوب عليه السلام) بجدوى أو صدق الحدث، في نيل الذئب من يوسف عليه السلام.

وفي سبيل إقناع سيدنا يعقوب بأن يرسل سيدنا يوسف عليه السلام مع إخوته، استعان المرسل بمجموعة من الوسائل الأدائية؛ منها الوسائل الإقناعية المعتمدة على المعطى النفسي:﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾[يوسف:١١]﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[يوسف:١٢] والمعتمدة على المعطى العقلي: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف:١٤]. ومنها ما هو ترغيبي مثل:﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف:١٢]، والقصد أن يوسف عليه السلام لن يصيبه أذى، بل سيلهو و يلعب في بطن الوادي مع توافر الميرة والغذاء.

لقد كان خطاب المرسل (إخوة يوسف) بشأن هذه القضية كاشفًا عن نياتهم ، بحيث لم يرد لفظ (أخونا) على لسانهم مطلقًا في هذا المشهد. هي البلاغة القرآنية إذا التي تحفظ للمعاني ظلالها، وتكشف في الآن نفسه عن دخائل النفوس وخبايا المشاعر، ذلك أن لفظ (الأخ) لم يأت مقصودًا به سيدنا يوسف إلا في قوله تعالى على لسان إخوة يوسف:﴿قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾[يوسف:٧٧]، حيث يعطينا السياق أبلغ دلالة على ما تحمله نفوس الإخوة تجاه أخيهم، ولم يكن الخطاب موجهًا أيضًا إلى الأب (يعقوب عليه السلام)، الذي يستلزم وجوده أن يكون الخطاب من الإخوة حال التعبير عن يوسف عليه السلام أن يقولوا (أخونا) وهو أمر لم يحدث مطلقًا.

كذلك يحتاط الكثير عندما يشرعون في تنفيذ جريمة ما، ويذهب المجرمون في تنفيذ هذه الجرائم مذاهب شتى، بقصد صرف انتباه المتلقي عن الحدث وإبعاده، وهذا لم يتوافر في أداء أبناء يعقوب عليهم السلام؛ ذلك أن نفوسهم جبلت على الصلاح والخير، ومن ثم تنطق الآيات بصلاح النية أو السطحية في محاولة تنفيذ الأمر، فهم يقدمون ليعقوب عليه السلام تبريرا في أن يرفض خروج يوسف معهم عندما يقولون: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:١٢] أي هناك ما يجب الاحتياط منه، وكذلك لا تقلق على يوسف من شيء:﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. و لأنه عليه السلام نبي معصوم ، جبلت نفسه على الخير والصلاح ، لم يشك في صلاح أبنائه ، وأنهم سيحافظون على أخيهم حال خروجه معهم.

القوة الإنجازية في الخطاب

كان المرسل متدرجًا في عرض رسالته للمتلقي من خلال البدء بالارتكاز على المعطى الوجداني، والذي كان سببًا في تحركهم تجاه يوسف، نلمح هذا الحدب من الأبناء، ورغبتهم في الاستحواذ على قلب الأب، وإحساسهم بقلق الأب على ابنه فكان خطابهم:(يا أبانا مالك؟!) ثم يكمل المرسل رسالته بعد تهيئة المتلقي للاستقبال:﴿**مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ**﴾ [يوسف:١١]، ثم إضافة التبرير للخطاب:﴿**مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾.

لكن لماذا لجأ المرسل إلى فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ**﴾ مع كون الموقف يستتبع وسائل لغوية أخرى، منها الاستفهام الذي يتوازى مع الاستفهام الموجود في الآية التي تسبقها، والعرب يرون في القول (مالك) استفهام يعامل معاملة الاستفهام في حقيقته ومجازه، وفي الحديث أن رجلًا قال للنبي - صلى الله عليه وسلم- دُلني على عمل يدخلني الجنة، فقال الناس: «ما لَهُ! ما لَهُ» فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أربٌ ما له». فإذا كان المستفهم عنه حالًا ظاهرة، لم يحتج إلى ذكر شيء بعد (ما له) كما وقع في الحديث[1]. ويفهم أيضًا من الاستفهام الوارد في الآية السابقة الاستعطاف والترجي من الأبناء، ليحقق لهم الأب ما توافقوا عليه، وهو المعنى نفسه الذي يحال إليه فعل الأمر (أرسله) مع استتباعه بما يدل على ذلك من سلوك الرحمة الواقع من الأبناء تجاه يوسف عليه السلام:﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ**﴾ [يوسف:١٢] مع التصميم الشديد من الأبناء في الظفر بيوسف والملاحظ من هذا التحديد الوقتي ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا**﴾[يوسف:١٢].

تتشابه أيضا البنى التركيبية المستخدمة في حوار المرسل مع بعضها البعض، ومنها الاتكاء على دلالة التكرار التي سبق الحديث عنها، وهو تكرير يوصف

(١) التحرير والتنوير: سورة يونس، من تفسير قوله تعالى «ما لكم كيف تحكمون» الآية (٣٥).

بالتوازي الناقص، ومن أمثلته داخل خطاب المرسل:(و إنا له لناصحون)، (و إنا له لحافظون)، (إنا إذًا لخاسرون) حيث التقابل الصوتي بين (الناصحون) (الحافظون) (الخاسرون) وكذلك (و إنا له) في مفتتح الآيات، والتي طعمت بدلالة التوكيد رغبة في إقناع المتلقي بجدوى خطاب المرسل، وتحميل الخطاب بقوة إنجازية فاعلة ، كان لها أثر في إقناع يعقوب عليه السلام:﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾[يوسف:١٣] ولا ارتباط بين الحزن والخوف في الآيات، ذلك أن الحزن بسبب ابتعاد يوسف عنه، والخوف مما قد يلحقه من أذى الذئب له، في دلالة تعطي المتلقي إلماحًا بوعي يعقوب بما يمكن أن يحدث ليوسف.

يقاس أيضًا سلوك المرسل من خلال وجوده الفاعل داخل الخطاب، وحجم السلطة التي يهيمن بها على الخطاب، والمتلقي في آن واحد، نقيس ذلك من خلال حصر الإحالات اللغوية أو البنيوية لكل طرف من أطراف الخطاب، وفقًا للنموذج الآتي:

المرسل (إخوة يوسف)	(المتلقي/ يعقوب عليه السلام)	الشخصية الرئيسية
(قالوا - أبانا - تأمنا - إنا - حافظون - نحن- خاسرون - أنتم - غافلون - تذهبوا).	(مالك - أرسله - إني - يحزنني - أخاف).	(يوسف - له - أرسله – يرتع ويلعب - به - يأكله - عنه - أكله).

ويلحظ من خلال السابق وجود المرسل بقوة كاشفة داخل خطابه، معبرًا عن وجهة نظره بصورة واضحة، ورغبة قوية في تحقيق أو إنجاز خطابه، في مقابل المتلقي:(يعقوب عليه السلام) الذي عبر عن وجوده من خلال المفردات

المستخدمة بصورة أقل: (إني - يحزنني - أخاف) وكلها أوصاف ترتبط بالجانب الشعوري لا بالأداء الحركي الواضح في خطاب الأبناء.

أما وجود الشخصية الرئيسة صاحبة الحدث أو محركة الحدث، فجاءت الإحالات إليها من المرسل والمتلقي في صورة يتشارك فيها الطرفان في التحرك نحو الحدث، (الأبناء أو المرسل) بالرغبة في النيل من يوسف، والمتلقي (يعقوب عليه السلام) في الحدب والخوف والحيطة من أجله.

وفي سعي المرسل لتحقيق هدفه ألمح إلى الشخصية أو إلى سيدنا يوسف في المواضع الآتية: (يوسف - له - أرسله - يرتع - يلعب - أكله) وفي رصد سلوك المتلقي نحو الحيطة والحذر، نجد (به – يأكله _ عنه) ي الذي يحال بالتأكيد إلى سيدنا يوسف عليه السلام.

وعن هذه اللوحة القرآنية أيضًا يمكن القول إن المرسل أراد إقناع المتلقي بجدوي خطابه، معتمدًا الخبر الإنكاري الذي يكون فيه المخاطب، منكرًا لخطاب المرسل مثل قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنَآ إليه لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ(١٥)**﴾ (يوسف ١١ - ١٥).

فالآيات السابقة، اشتملت على أخبار، اقتضاها المقام والموقف؛ فما جاء على لسان الأبناء (وإنا له لناصحون – و إنا له لحافظون)، أكد بـ (إن واللام المزحلقة)؛ لأن المخاطب - أباهم- منكر لصدق نواياهم تجاه يوسف، و بالتالي جاءوا بأدوات التوكيد ليزيلوا ذلك الإنكار، بقصد تحقيق الخبر، وهو أنهم

يحفظون يوسف و ينصحونه، كما نزلوه منزلة من لا يأمنهم عليه، من حيث إنه كان لا يأذن له بالخروج معهم للرعي، ونحوه. وتقديم شبه الجملة (له) للاختصاص، أي -خصوصًا - ناصحون ليوسف وحافظون له، وجاء رد يعقوب -عليه السلام- عليهم قويًّا إذ أكد بـ (إنّ واللام) قاطعًا حزنه في قوله:﴿**إِنِّي لَيَحْزُنُنِي**﴾[يوسف:١٣] لقطع إلحاحهم بتحقيق أن حزنه لفراق يوسف ثابت، تنزيلًا لهم منزلة من ينكر ذلك، إذ رأى إلحاحهم، و يسري التأكيد إلى:﴿**وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ**﴾[يوسف:١٣] وهذه الجملة تدل على أن القصة قائمة على التنبؤ لما سيحصل في المستقبل.

و إذا كان يعقوب -عليه السلام - قد أكد حزنه، إلا أنه لم يؤكد غفلتهم ﴿**وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾؛ لأنه لا يشك في ذلك، وأن غفلتهم عن يوسف أمر ثابت «بسبب إمعانهم باللعب والشغل باللهو والمسابقة، فتجري الذئاب على يوسف -عليه السلام-»[١].

ولما كان ردّ الوالد رافضًا لإرسال يوسف معهم، باعتذاره لهم بعذرين: «بحزنه المتحقق على فراقه، وخوفه عليه من الذئب. كان جوابهم مهملًا لحزن والدهم، وأجابوه بالشق الثاني الذي يشتمل بأصناف التوكيد في جملة: ﴿**لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ**﴾ (يوسف: ١٤)، فالمؤكدات هي: (اللام الموطئة للقسم في «لئن» و إنَّ ولام الابتداء، «لام المزحلقة»، و إذًا الجوابية) تحقيقًا لحصول خسرانهم على تقدير حصول الشرط، والمراد الكناية عن عدم تفريطهم في يوسف[٢].

أما الإنكار: فهو غرض بلاغي رئيس، أشار إليه عبد القاهر بقوله: « و اعلم أنّا و إن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا الإنكار، فإن الذي هو كحض المعنى، أنه لينبه السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل و يرتجع، و يعيي بالجواب»[٣].ودلالة

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٢ / ٢٣١.
(٢) النظم القرآني في سورة يوسف، ٣٥.
(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ١١٩ - ١٢٠.

الاستفهام على الإنكار دلالة بلاغية عامة، تندرج تحتها معانٍ بلاغية ومقاصد أسلوبية أخرى، كالتوبيخ، والتقريع، والتهديد، والتعجب، وغيرها....

ومن أساليب الاستفهام الإنكاري قوله تعالى:﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾(يوسف: ١١) جاءت هذه الآية على لسان الأبناء، لما عزموا على إلقاء يوسف في الجب، ليخل لهم وجه أبيهم، فابتدأوا بالنداء: ﴿**يَا أَبَانَا**﴾ الذي يوحي بتذكير الوالد برابطة النسب القائمة على الحب الأبوي، لإثارة الشفقة عنده. وحققوا مطلبهم بالاستفهام:﴿**مَا لَكَ**﴾ المستعمل «في الإنكار على نفي الائتمان»[١]، «فقد استفهموه لأمر ينبغي أن يكون الواقع على خلافه»[٢].

ويتبين من السياق أن الاستفهام للإنكار الممزوج بالتعجب؛ وذلك لأن الأبناء، وإن استنكروا على أبيهم رفض الائتمان؛ فإنهم تعجبوا من الاستمرار في عدم ائتمانهم على أخيهم يوسف، ولما كان الأبناء حريصين الحرص كله على إقناع والدهم بالعدول عن استمراره بعدم الائتمان، جاءوا بالجملة الخبرية المؤكدة:(وإنا له لناصحون) التي من شأنها أن تزيل شكوكه وتردده؛ ليسمح لهم – أخيرًا - بأخذ يوسف[٣].

٢ - خطوات الكشف

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَجِعُوا إلى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٦٣)**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إليهمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إلينا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٦٥)**﴾

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٢ / ٢٢٧.
(٢) الشوكاني: فتح القدير، ٣ / ٩.
(٣) فودة عبد العليم السيد: أساليب الاستفهام في القرآن، ص ٤٠٥.

سلوك الهيئة الاتصالية:

مكن الله ليوسف في أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء، وأفاض عليه من رحمته في أحواله في الدنيا، وما كان له من مواقف الإحسان التي كان ما أعطيه من النعم، وشرف المنزلة جزاءً له في الدنيا، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولأجره في الآخرة خير من ذلك، ولكل من آمن واتقى.

وقد جاء إخوة يوسف – عليه السلام -إلى مصر للميرة عند حلول القحط بأرض مصر، وما جاورها من بلاد فلسطين منازل آل يوسف -عليه السلام - وكان مجيئهم في السنة الثانية من سني القحط.

و إنما جاء إخوة يوسف عدا بنيامين، ورحلوا للميرة كلهم، لأن التزويد من الطعام كان بتقدير يراعي فيه عدد الممتارين، وأيضًا ليكونوا جماعة لا يطمع فيهم قطاع الطريق، وكان الذين جاءوا عشرة، وعرف يوسف -عليه السلام- إخوته بعد مضي سنين على فراقهم، لقوة فراسته وزكانة عقله دونهم، وقد طلب يوسف من إخوته أن يأتوا بأخ لهم من أبيهم، وطلبه هذا يعني وقوع حديث منهم، عن أن لهم أخًا من أبيهم لم يحضر معهم، و إلا لكان إنباء يوسف -عليه السلام لهم بهذا يشعرهم أنه يكلمهم عارفًا بهم، وهو لا يريد أن يكشف ذلك لهم.

وفي الاقتصار الدال على عدم إرادة غيره، يطلب يوسف منهم ﴿**بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ**﴾[يوسف:٥٩] أي من أبيكم، وليس من أمكم أي ليس بشقيق، والعدول عن أن يقال:ائتوني بأخيكم من أبيكم لأن المراد حكاية ما اشتمل عليه كلام يوسف -عليه السلام- من إظهار عدم معرفته بأخيهم إلا من ذكرهم إياه عنده، فعدل عن الإضافة المقتضية المعرفة إلى التنكير تنابهًا في التظاهر بجهله به، وقال

﴿لاَ تَقْرَبُونِ﴾ أي لا تعودوا إلى مصر إلا معكم أخوكم، وقالوا:﴿قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١)﴾ وجعل بضاعتهم في رحالهم ترغيبًا للعودة إلى مصر[١].

عرف يوسف إذن إخوته عندما دخلوا عليه، ومن ثم كانت الرغبة في مداواة الشوق، ولقاء الأب يعقوب عليه السلام، والآيات السابقة تضع بداية أولى حلقات لم شمل الأسرة، وعودة يوسف عليه السلام لأبيه، ويبدو أن آلية الفعل وتحريك الحدث في هذه اللوحة تتعلق أشد التعلق بسيدنا يوسف، ذلك أنه أول من عرف إخوته، و أول من وضع لحظة إضاءة داخل بنيان هذه القصة النبوية الشهيرة، ومن ثم بدأ في اتخاذ رد الفعل، وتحريك الحدث، فطلب إليهم قائلًا:﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ للتثبت من أمرهم[٢]، أو رغبة في إجزال العطاء لهم بكثرة عددهم، مع كتمان رغبته في الوصول إلى أخيه بنيامين وأبيه يعقوب.

و يغلب على خطاب الإخوة في هاتين الآيتين أو هذا المشهد مجموعة من النقاط نوجزها فيما يلي:

بدأ المرسل خطابه بالنداء مع الإخبار والتبرير، قال تعالى: ﴿مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ﴾ [يوسف:١١]حيث قدم المرسل التبرير قبل الطلب:﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾[يوسف:٦٣] استتبع بالطلب عن طريق فعل الأمر المشفوع بالترجي أو الالتماس:﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ مع تقديم الجانب الإغرائي لإقناع المتلقي: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[يوسف:٦٣].

ثم رفع من درجة إقناعهم للمتلقي في قوله تعالى:﴿مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إلينا﴾ حال وصفهم يوسف بالكرم واللطف بقولهم: إنا قدمنا على رجل في غاية الكرم، ولو كان رجلًا من آل يعقوب لما فعل ذلك، والمعنى أن بهذا الوصف الذي ذكرناه ما نبغي شيئًا، أو أن يوسف عليه السلام بلغ إكرامه معهم غاية ما

(١) التحرير والتنوير، ج١٣، ص ١٠ - ١٧ بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير، ج١٣، ص ١٣.

وراءها شيء آخر، أو أن بضاعتنا التي معنا كافية، ما نبغي شيئًا بعدها، وباعتبار أن (ما) للاستفهام يكون التقدير: أي شيء نبغي فوق هذا الإكرام؟ إن الرجل رد دراهمنا إلينا، فإذا ذهبنا إليه نمير أهلنا، ونحفظ أخانا، ونزداد كيل بعير بسبب حضور أخينا[1]، وكذلك الحث على الموافقة في قوله تعالى: ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِير﴾ [يوسف:٦٥]

القوة الإنجازية في الخطاب:

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(٦٣) وقوله تعالى:﴿قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾(٦٥) في الآية الأولى استعان المرسل بالنداء، وما يتضمنه من شحن معنوي وشعوري، مع تحقيق لفت نظر المتلقي، والناتج من حركة الصوت المتصاعدة أو النداء المباشر للمتلقي والمحمل بسلوك التأدب، والترحم والترفق، ثم التثنية بالإخبار الذي يحتل مساحة كبرى من ذهنية المرسل وهو:﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ ومن ثم جاء بعد النداء، والحال في الآية الثانية يقترب من ذلك حيث الاعتماد على النداء كذلك، واعتماد بنية الاستفهام، وما تقدمه من حالات انتباهية، واستثارة ذهنية لدى المتلقي، تضمن نقل المعلومات بسرعة خاطفة بعد لفت نظر المتلقي، ليشارك في الخطاب بصورة فاعلة.

يلحظ أيضًا في الآية الأولى اهتمام المرسل بخطابه، والسعي إلى إنجازه بسرعة، ومحاولة إقناع المتلقي بذلك، فبدأ بالنداء ثم الإخبار ثم الطلب ثم التبرير، حيث رغبة المرسل الملحة في البضاعة، والعودة إلى يوسف لطلب الميرة، واحتلال الحدث أو الأمر منه منزلة عليا ومهمة، وكيف لا وهو أمر يتعلق بالحياة الإطعام والمعيشة.

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير. سورة يوسف. الآيات.

لكن المرسل نفسه في الآية الثانية مارس شحنًا أو ضغطًا معنويًّا على المتلقي، عندما ألمح إليه أن أمر إرسال بنيامين ليس حتميًّا بالنسبة لهم، ذلك أن بضاعتهم موجودة، لكن الأمر يتعلق بباقي الأهل:﴿**وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ**﴾[يوسف:٦٥].

دحض المرسل نقاط الشك لدى المتلقي، حيث تعتبر هذه الآلية كاشفة عن سلوك المتلقي تجاه أي خطاب، وهي تقاس من خلال سلوك المرسل الاتصالي نفسه، وذلك من خلال الإجراءات اللغوية المستخدمة داخل بنية الخطاب، وهي آلية مهمة وخطيرة، فهي تركز على نقاط الشك، وتجليها عبر الكثير من الوسائل مثل الدلائل البلاغية، أو الإجراءات اللغوية، فالنداء والتعجب والاستفهام وغيرها، دلائل مهمة في شحن الخطاب بالكثير من المضامين التي يسعى المرسل لتوصليها للمتلقي، أما الإجراءات اللغوية فمنها التكرار والتوازي والإحالات بأنواعها، ووسائل الربط النحوي والمعجمي وغيرها، وفي الآيات لمح المرسل شكية المتلقي عندما قال:﴿**وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ فلجأ إلى الإجراءات اللغوية، لدحض مثل هذا الشك عند المتلقي عبر الاعتماد على التكرار الناقص:﴿**وَنَحْفَظُ أَخَانَا**﴾ ويبدو أن القلق على بنيامين كان كثيرًا، وأمام يعقوب عليه السلام الحدث المماثل مع سيدنا يوسف، فاستوى القلق سببًا في رد الفعل:﴿**لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حتى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّه**﴾[يوسف:٦٦].

الاستعانة بالمعطيات السياقية قبل عرض خطاب المرسل: وفي سورة يوسف عليه السلام، تبقى الآلية السابقة متبعة بصورة لافتة، ذلك أن المكان، والحدث، والزمان، والشخصيات والسياق الحالي و المقامي، واضحة في الآيات المحكمات، نلمح ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا رَجِعُوا إلى أَبِيهِمْ...**﴾[يوسف:٦٣] حيث التعبير عن الزمان الماضي والمكان المصدر بجملة مقول القول، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إليهمْ قَالُواْ...**﴾[يوسف:٦٥] وسائل

مهمة تساعد متلقي الخطاب على فهم أبعاد الحوار، مع عدم إغفال آلية الحذف المعتمدة عليها السورة بصورة لافتة.

٣ - خاتمة خطاب الإخوة مع أبيهم:

اشتملت خاتمة الخطاب على جملة من الآيات:

قال تعالى:﴿**قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)**﴾. وقوله تعالى: ﴿**قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)**﴾ وقوله تعالى:﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧)**﴾

سلوك الهيئة الاتصالية:

أما موقع هذه الآيات من السورة، فبعد أن سمع يعقوب من أبنائه كلامًا لم يصدقهم فيه، كما في واقعة يوسف فقال:﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾[يوسف:٨٣] وتولى عنهم، ثم انفرد بربه عن أبنائه حتى ابيضت عيناه من الحزن، والقصد ضعف البصر أو عدمه، والكظيم مبالغة في الضيق النفساني، وكاظم الحزن أي لا يظهره للناس، ويبكي في خلوته من الحزن على يوسف عليه السلام، عندئذٍ قيل له:﴿**تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ**﴾[يوسف:٨٥].

أما الآية الأخيرة فهي خاتمة خطاب المرسل داخل السورة، أي أنها الجملة الأخيرة التي نطق بها إخوة يوسف أمام أبيهم، وما أجملها من نهاية خطاب حواري راق، اتسم بالإقناع أحيانًا، ومحاولات الترغيب أحيانًا أخرى ثم طلب المغفرة والعفو. وبين هاتين الآيتين تقع الكثير من اللوحات والمشاهد[١].

(١) الآيات من (٨٦، ٨٧) كان المرسل فيها يعقوب عليه السلام، والآيات (٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٥، ٩٧) المرسل فيها إخوة يوسف، والآيات (٨٩، ٩٠، ٩٢) المرسل فيها يوسف عليه السلام.

تلتقي الآية الثانية:﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)﴾مع الآية الأولى:﴿قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)﴾ في تشابه الصدارة بالقسم، والخطاب لسيدنا يعقوب مع ورود نفس هذا التركيب، وقد جاء القسم داخل السورة مرتين أخريين، الأولى في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف: ٧٣) والخطاب هنا للقائمين على خزائن مصر. والثانية في قوله تعالى:﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾(يوسف: ٩١) والخطاب هنا لسيدنا يوسف عليه السلام:« واتفق عنصر القسم [حرف القسم (التاء) والمقسم به (اسم الجلالة) في هذه المواقع الأربعة]، ومن الملاحظ أن اسم الجلالة (الله) تكرر في سورة يوسف (٤١) مرة في اثنتين وثلاثين آية، وهو المقسم به في الأقسام الأربعة، ومن ثم جاء المقسم به متسقًا مع سياق السورة»[١].والمخاطب في الآيات السابقة هو سيدنا يعقوب عليه السلام.

جاءت الآية:﴿قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[يوسف:٨٥] ردًّا على ما قاله سيدنا يعقوب لأبنائه عندما أخبروه بالفجيعة الثانية، وهي عودتهم بدون أخيهم، فكان الرد: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَي اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعليمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفى على يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف:٨٣ - ٨٤) فتعجبوا من رده، حيث أبدى الأسف على سيدنا يوسف عليه السلام، ولم يذكر أخيه الأصغر الذي اتهم بالسرقة في مصر، وتعجبوا من تذكره يوسف حتى الآن. وقد ذكر الزمخشري الحكمة من ذلك:«لأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتب عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفًا على من لحق به»[٢]

(١) القسم في القرآن الكريم، ص٣٤٢.
(٢) الكشاف، ج٣، ص٣١٦.

ولأنهما كان من أم واحدة «فالمشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل، فكان يعقوب عليه السلام يتسلى برؤيته عن رؤية يوسف عليه السلام، فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة، فعظم الألم والوجد»[1]. كما أنه يعلم مكان بنيامين، أما سيدنا يوسف -عليه السلام -فلا يعلم عنه شيئًا، ولا يزال معلقًا برؤياه[2].

أما قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ**﴾ [يوسف:٩٥]، فالمقسم عليه هو قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ**﴾ والجواب هنا جملة اسمية مثبتة مقترنة بـ (إنَّ ولام الابتداء)، واستخدام الظرف (في) لتجسيد الضلال بأنه شيء مادي منغمس فيه سيدنا يعقوب عليه السلام -على حد زعمهم- والمراد بالضلال هنا ربما يكون (الخطأ) أو (الجنون) أو (الشقاء) أو المراد به المعاني الثلاثة؛ توسعًا في المعنى لأن هذه المعاني الثلاثة، تصلح للمقام من وجهة نظرهم، كما ذكر من قبل من أن كلمة (تفتأ) التي وردت في القسم في الآية:﴿**قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾[يوسف:٨٥] تضم معاني (سكن، وانطفأ، ونسي) فإن كلمة الضلال تضم المعاني السابق ذكرها، والمراد بالضلال في اللغة «العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عليها**﴾ الزُّمَر:٤١] .

ويقال الضلال كل عدول عن المنهج عمدًا كان أو سهوًا، يسير كان أو كثير... صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي- صلى الله عليه وسلم ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى**﴾أي غير مهتد لما سيق إليك من النبوة، وقال في يعقوب:﴿**إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ**﴾ [يوسف:٩٥] وقال أولاده: ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**﴾ إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه[3].

(١) مفاتيح الغيب – التفسير الكبير. ج١٨، ص ١٩٧.
(٢) القسم في القرآن الكريم، ص٣٤٦.
(٣) المفردات في غريب القرآن. مادة (ضل) ٢٩٧. لسان العرب. ج١١، ص٣٩٠، الكليات. ج١، ص٥٧٦.

تكررت مادة (ضل) ومشتقاتها في سورة يوسف في قوله تعالى:﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف:٨] وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[يوسف:٣٠] وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[يوسف:٩٥]. ووصف الضلال بأنه قديم وعرف بـ(ال) للدلالة على أن هذا الأمر ليس جديدًا حادثًا على أبيهم[١].

يلحظ أيضًا بعد قراءة المقام السياقي للآيات ، أن أبناء يعقوب قدموا لأبيهم مساحة التبريرات التي تثبت صدقهم هذه المرة، في كون عزيز مصر احتفظ بأخيهم، وبخاصة بعد ثبوت حالة السرقة، وشهودهم لها، ومن ثم تولى عنهم راغبًا وراجيا من الله أن يأتيه بهم جميعًا إنه هو العليم الحكيم.

أما المرسل فقد ابتدأ خطابه في هذه الآيات بأسلوب التعجب المأخوذ من آلية القسم، والتي يكثر وجودها في سورة يوسف عليه السلام دون باقي سور القرآن[٢]. وجاءت على لسان المرسل (إخوة يوسف) في كل الآيات.

القوة الإنجازية في الخطاب:

في بحث القوة الإنجازية داخل خطاب المرسل تنبغي الإجابة على سؤال مهم وهو: لماذا يلجأ المرسل إلى اعتماد القسم التعجبي آلية في خطابه؟!

يجمع النحاة أن القسم نوع من أنواع التوكيد:«اعلم أن القسم توكيد لكلامك»[٣] ويلجأ الإنسان إلى القسم لإزالة الشك عن المخاطب، فهناك من الناس من لا يقنع إلا بالقسم، لإدخال الحديث في باب الجد، و للبرهان الحقيقي

(١) القسم في القرآن الكريم، ص٣٤٦، ٣٤٧.
(٢) جاء أسلوب القسم بهذه الصورة تسع مرات، منها (٥) مرات في سورة يوسف، (٧٣ - ٨٥ - ٢/٩١ - ٩٥) وفي سورة النحل في الآيات (٥٦، ٦٣) والشعراء (٩٧) والصافات (٥٦) والأنبياء (٥٧).
(٣) سيبويه: الكتاب. ج٣، ص١٠٤.

على صحة الكلام ولذلك قالوا: «من أخبر عن شيء وأكده بالقسم فقد أخرجه عن الهزل وأدخله في باب الجد، وثانيهما: أن الناس طبقات فمنهم لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي بل ينتفع بالأشياء الإقناعية نحو القسم، فإن الإعرابي الذي جاء الرسول - صلى الله عليه وسلم- وسأل عن نبوته ورسالته واكتفى في تحقيق الدعوى بالقسم»[1].

والقسم الموجود بالآيات يحقق المناسبة بين حرف القسم (التاء) الدال على التعجب واضطراب إخوة يوسف، وما يدور في نفوسهم تجاه أبيهم لتذكره يوسف عليه السلام بعد هذه السن، لاعتقادهم أنه مات، ويتعجبون من ثقة أبيهم في عودة سيدنا يوسف مرة أخرى إليه، واعتبار الأمر عجبًا هو أنه صرح لهم بأنه يجد ريح يوسف، وكأنه أمامه، فناسب حرف القسم والمقسم به سياق التعجب، الذي يعبر عن الحال التي يعيشها أبوهم؛ فقد تعجبوا من تذكره ليوسف من قبل في قولهم: ﴿**قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)**﴾، وزاد التعجب قوة بعدما تم التصريح لهم باقتراب مجيئه؛ لأنه يشم ريحه، ولا يشم إلا ريح الشيء القريب، وكما خصوا أباهم بالضلال في إضافة الضلال إليه بقولهم: إنك لفي ضلالك القديم، أقسموا باسم الجلالة (الله) «فجاء القسم باسم الله تعالى الذي يختص سبحانه، ولا يطلق على غيره ملائمًا لهذا المعنى الذي أشار إليه المقسم عليه[2].

البدء بالقسم أيضًا على سبيل التعجب، يوظف دلالة التوكيد التي يقصدها المرسل ليخدم خطابه الإنجازي، محققًا بذلك التأكيد على خطأ ما يتوقعه المتلقي ويظنه: ﴿**إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ**﴾ أي ظنك بأن يوسف عليه السلام سيرجع (إلى يعقوب عليه السلام) وإرشاد المتلقي إلى ضرورة النسيان وعدم الجدوى من القضية أصلًا.

(١) مفاتيح الغيب. ج١٧، ص١١٦.
(٢) القسم في القرآن الكريم، دراسة بلاغية. ج٢، ص ٣١١.

لكن هذا الظن الذي ارتاح إليه (إخوة يوسف) في أن يوسف لن يعود في مقابل يقينية يعقوب في عودة يوسف، كان سببًا في اتباع مثل هذه الأساليب البلاغية التي تقوم على التصريح الرائع الذي يحوي شفقة ورقة من الأبناء على أبيهم:﴿**قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[يوسف:٧٨].

وهناك دلالة النداء في قولهم:﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ(٩٧)**﴾وهي الآية التي اختتم بها خطاب إخوة يوسف عليهم السلام في صورة بناء قصصي رائع افتتح بحديث الإخوة مع أبيهم: ﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا على يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُون**﴾ [يوسف:١١] واختتم بالآية نفسها: ﴿**قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِين**﴾ [يوسف:٩٧] في صورة إعجاز تركيبي نادر يؤدي إلى حسن تماسك الخطاب القرآني وترابطه، فالبدء مثل الانتهاء، وهذا التأدب البادي في سلوك الأنبياء وعصمتهم: ﴿**اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ(٩٧)**﴾.

يكون الخطاب معبرًا عن المرسل إذا كان هذا المرسل مشاركًا في جوهر القضية وفي الآية: ﴿**قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حتى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)**﴾ جاء خطاب المرسل بعد رؤية رد فعل الأب الذي تذكر يوسف قائلًا: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفى على يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤)**﴾ وهي قضية تذكر المرسل بما أحدثه من الكيد ليوسف عليه السلام، فكأنه يذكرهم بجرمهم القديم الذي يشغل ضمائرهم، ومن ثم كان ردهم على أبيهم في صور إنكار لما قال.

كذلك تلتقي الآية:﴿**تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)**﴾ مع قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِين**﴾ [يوسف:٨] في القضية نفسها، ذلك أن وصف الضلال

الذي عناه أبناء يعقوب عليهم السلام، وهو الوصف نفسه الذي كان باعثًا على القيام بالمكيدة ضد يوسف عليه السلام.

وإجمالًا يمكن القول إن خطاب أبناء يعقوب عليه السلام جاء موزعًا داخل السورة عبر أكثر من لوحة قرآنية اختصت كلها بثلاثة أطراف للحدث: (الإخوة - سيدنا يعقوب - سيدنا يوسف عليه السلام). وجاء خطابهم ثابتًا متشابهًا مع المتلقي (سيدنا يعقوب) عبر تسع آيات محكمات داخل النص الحكيم وقف عليها البحث بالدراسة، والسؤال هل يمتاز أو يختلف هذا الخطاب باختلاف المتلقي، وما مظاهر ذلك؟ للإجابة عن هذا السؤال نقف عند خطاب المرسل نفسه لكن من خلال متلق آخر وهو يوسف عليه السلام.

ثالثًا: حوار الإخوة مع يوسف عليه السلام:

حالات الاتصال التي وقعت بين الطرفين تسع مرات، ودارت الأحداث حول الأخ الأصغر بنيامين، و آخر آية مثلت هذه الحالة الاتصالية كانت قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)**﴾. أما الآيات التي اكتملت فيها الحالة الاتصالية بين الطرفين:(المرسل/ أبناء يعقوب) (المتلقي / سيدنا يوسف) فهي:

اللقاء الأول بين يوسف (عليه السلام) وإخوته:

وتمثل هذه اللوحة الآيات: ﴿**قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ(٦١)**﴾ وقوله تعالى: ﴿**قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عليهم مَّاذَا تَفْقِدُونَ(٧١)**﴾ وقوله تعالى: ﴿**قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِين(٧٣)**﴾ وقوله تعالى: ﴿**قَالُواْ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)**﴾.

٢ - حادثة السرقة ودفوع المرسل (أبناء سيدنا يعقوب):

وتمثل هذه اللوحة الآيات: ﴿**قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)**﴾ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ(٧٨)﴾.

٣ - اللقاء الأخير وحديث الرحمة والعفو:

وتمثل هذه اللوحة الآيات: ﴿**فَلَمّا دَخَلُواْ عليه قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ علينا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ(٨٨)**﴾ وقوله تعالى: ﴿**قَالُواْ أَ إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَنَّ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠)**﴾ ﴿**قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١)**﴾ وعن هذا الخطاب عدة نقاط نوجزها في:

أن الحالة الاتصالية لم تنعقد بين المرسل و المتلقي ، إلا بعد أن مكن الله ليوسف في الأرض، وبداية من الآية: ﴿**قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ(٦١)**﴾.

الخطاب المنعقد بين طرفي الاتصال فيه المتلقي أعلى رتبة اجتماعية من المرسل، فقد كان يوسف عزيز مصر، ويملك الميرة والتصرف، في حين كان الإخوة تجارًا من أماكن بعيدة، جاءوا لطلب الطعام بسبب القحط. وكونه خطابا يراعي الظرف الاجتماعي أيضًا من ناحية عامل القوة والمنعة المتحقق ليوسف عليه السلام عن إخوته.

أنه خطاب فيه المتلقي يعرف المرسل تمام المعرفة، فقد عرف يوسف عليه السلام إخوته بمجرد أول لقاء، في مقابل ندرة المعلومات المتوافرة للمرسل عن المتلقي، غير أنه عزيز مصر، وأنه يوفي الكيل والميزان، وهو خير المنزلين.

أما أهم الملامح الخطابية التي يمكن أن نلحظها في اللوحات السابقة ما يلي: بالنسبة لأطراف الاتصال، في الآيات (٧١،٦١، ٧٣، ٧٥)، فإن الخطاب من الأدنى شأنًا إلى الأعلى شأنًا من ناحية الموقع الاجتماعي؛ فهم تجار وسيدنا يوسف عزيز مصر.

رغبة المرسل في تحقيق ما يطلبه المستقبل، والسعي الأكيد في الإيفاء بما يطلب، وذلك من خلال الاعتماد على فعل المراودة، ثم أسلوب التوكيد في عجز الآية، وإنما ظهر هذا التأكيد لمحاولة إنقاذ أخيهم من الملك، وبخاصة بعد أن علموا أنهم وقعوا في مأزق شديد.

كذلك لا يخفى ما في خطاب المرسل من الاعتماد على الإيجاز، وتقديم المعنى بأقل عبارة، وفي ذلك سلوك للطريق الأقرب، وتقديم الغرض من المقصود دون تشعب، وإيصال الفائدة بالحسن دون القبيح، وتصفية الألفاظ من الكدر، وإظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير، وقد عطف بجملة «إنا لفاعلون» على الوعد بتحقيق الموعود به، والتأكيد بالجملة الاسمية وحرف التأكيد واضح.

أما الآيات (٧٧، ٧٨) و التي تتعلق بالمرسل ، فقد استعان فيها المرسل بالدليل الواقعي، حيث حادثة السرقة التي اتهم فيها سيدنا يوسف قبل ذلك، ومن ثم جاء رد المتلقي معاتبًا لهم على استحضار مثل هذه الواقعة، التي لا يجوز أن يستشهد بها إخوة في مقام إنصاف أخ آخر لهم، فقال يوسف (عليه السلام): (أنتم شر مكانًا) حال استحضار هذه الحكاية أو الحادثة.

وعند اتباع الدليل الواقعي لإقناع المتلقي بصلاح قضية ما يجدر بالمرسل أن يلجأ إلى طائفة من الحجج، منها حجة الاستدلال، أو الحجة التوضيحية، ويبدو أن لجوء المرسل في هذه القضية إلى الحجة التوضيحية لم يحسب في سياق خطابه ، بل حسب عليه، ذلك أنه يقدم دفوعًا تنتقص منه هو في مقابل المتلقي.

كذلك يبدو أن الضمانات أو الرخص والكفالات، وهي المعتقدات السائدة والقيم والآراء المشتركة والرؤى الثقافية، كانت بعيدة بين المرسل والمتلقي من خلال الآيات، فما هي نقاط الالتقاء بين الاثنين.. يوسف (عليه السلام) يريد أخاه وأباه وباقي الأسرة، وهم (إخوة يوسف) يريدون البيع، وتلك من الحبكة القرآنية في بنية القص المقصودة.

وعند اتسام خطاب المتلقي، بالدفوع يلجأ المرسل لتنويع إجراءاته في صورة إقناعية أكثر هدوءًا، بعدما ظهر رد فعل المتلقي من قلة تعاطفهم مع أخيهم فقالوا: ﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**(٧٨)﴾ وقد جاءت الدفوع متتالية من الأقل إقناعًا إلى الأكثر تأثيرًا لدى المتلقي، فبدأ المرسل بقوله طلبًا للترقق:﴿**يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا**﴾ ولما لم يُبد المتلقي تجاوبًا رفع المرسل في إجراءاته اللغوية ودرجته الإقناعية فقال:(فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ) في إبداء لسلوك نبوي رائع من أبناء يوسف (عليهم السلام)، التضحية بأحدهم مقابل الأخ الآخر.

ثم سلوك الالتماس أو التحبب بقولهم ﴿**إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ ذلك أن النفوس جبلت على الاستحسان، ومع يوسف (عليه السلام) وإخوته، فالأخلاق نبوية طاهرة في النمط الأدائي من خلال تصرفات النبي الصديق يوسف (عليه السلام)، إنها مبررات ودفوع متقنة ومساندة، فمثله لا يصدر منه ما يسوء أبا شيخًا كبيرًا.

ولا يتوقف هذا السلوك الأخلاقي المقنع واقعيًّا من المتلقي تجاه المرسل على الموقف السابق، لكنه سلوك متبع كان من أهم الاستراتيجيات التي اعتمدها المرسل (أبناء يوسف) مع (يوسف) عليهم السلام كما في الآيات (٨٨، ٩٠، ٩١).

رحل الإخوة إذن إلى مصر بقصد استطلاق بنيامين، ولم يكن طلبهم الأخ باديًا بصورة مباشرة، فقط ألمحوا إلى الضرر الذي مسهم من الطريق، والنصب والتعب مع رقة حالهم، وقلة ما جاءوا به من تجارة وأموال ﴿**وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ**﴾ ولذلك كانت رغبتهم بعدما علموا من صلاح يوسف (عليه السلام):

﴿**فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ**﴾ أي إعطاؤهم كيلًا ثم الإفاء والزيادة.

﴿**تَصَدَّقْ علينا**﴾ بإطلاق سراح أخيهم لأن ذلك فضل منه.

﴿**إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِين**﴾ تعليل لاستدعائهم التصدق عليهم طلبًا للترفق.

أما قوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَن يَتقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِين)(٩١) فهما آيات الكشف أو لحظة التنوير في القص، فقد عرف الإخوة أن عزيز مصر هو يوسف (عليه السلام)، وفي الحالة هذه ستكون سلوكيات المرسل واضحة تمامًا للمتلقي، فهم إخوة، وكذلك ستكون سلوكيات المتلقي واضحة تمامًا أمام المرسل فهو أخوهم، وأن تعرف من هو المستقبل، يسمح لك باختيار أنماط وأعراف سلوكية أو تواصلية معينة.

فكون الحالة الاتصالية تنعقد بين (الإخوة وعزيز مصر) تختلف عن حالة اتصالية تنعقد بين (الإخوة وعزيز مصر« أخوهم») نلمح ذلك من خلال المباشرة الآتية في الاستفسار، والسؤال من الإخوة إلى عزيز مصر (يوسف عليه السلام): ﴿**قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا إِنَّهُ مَنَّ**

يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِين)(٩١)﴾ وتنطوي الآيات على الآتي:﴿**أَ إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ**﴾ سؤال من يعرف الإجابة، و إنما أصدر سؤاله على سبيل التأكد، مستعينًا بالوسائل التوكيدية المتنوعة بين الحروف، والأدوات والبنى اللغوية، مع سلوك التعجب المتضمن في جملة القول.

استعمال الضمائر الدالة على المخاطب بصورة مباشرة ومكثفة (كاف الخطاب) في (إنك)، وضمير المخاطب (أنت) دون اعتماد المحاذير اللغوية التي يلجأ إليها المرسل، عندما يخاطب من هو أعلى رتبة، أي خطاب في صورة مباشرة بلا تكلف.

رفع الألقاب، وعدم مخاطبة المتلقي بوظيفته الاجتماعية في مقابل اعتماد الاسم بديلًا عن الرتبة الاجتماعية، والقصد أن إخوة يوسف لم يخاطبوه في الموقف بحسب موقعه الاجتماعي كعزيز مصر، ولم يرد في خطابهم في هذا الموقف أيضًا التصريح باسم (يوسف).

الأعجب أن تجد إخوة يوسف في خطابهم مع يوسف (عليه السلام) لا يذكرون رتبته الاجتماعية أي نسبته لهم وعلاقة الأخوة القائمة بينهم، وحتى في لحظة الكشف، وهي اللحظة التي ظهر لهم فيها سوء ما قدموه، وعندما تبين لهم موقع يوسف، لم يصرح الإخوة بهذه العلاقة، و إنما كان الاسم أحب لهم من ذكر درجة القرابة، فكان حبهم لذكر الاسم والتصريح به أولى، وأحب إليهم من التصريح بدرجة القرابة، ولربما كان يوسف يحب أن يسمع اسمه من إخوته فلم ينكر عليهم فعل ذلك، بل إنه كان أحرص على إثبات هذه الدرجة العالية من قرابة النسب في ختام بنية القص ﴿**وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ**

مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعليمُ الْحَكِيمُ﴾ يوسف(١٠٠).

وقولهم **﴿أَ إِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾** يدل على أنهم استشعروا من كلامه ثم من ملامحه ثم من تفهم قول أبيهم لهم **﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾** إذ قد اتضح لهم المعنى التعريضي من كلامه.

وكذلك رد المتلقي(سيدنا يوسف) في خطابه على المرسل بقوله:**﴿قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾** مع اعتماد بنية الحذف لاسم (بنيامين) للتعجب من جمع الله بينهما بعد طول الفرقة، وجملة:**﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ علينا﴾** أي عليّ وعلى أخي بنيامين.

وتأكيدًا لسياق المنزلة الدينية العليا مع الرتبة أو الوظيفة الاجتماعية، قدم المتلقي أسباب المنّ السابقة في طريقة تعدُّ من أفانين الخطابة، ورؤية القول المناسب في الظرف المناسب، فالواعظ يغتنم الفرصة لتقديم الموعظة، قال تعالى: **﴿إِنَّهُ مَنَّ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** وهنا يستعين المتلقي بالوسائل الواقعية في خطابه الوعظي المباشر، دون اعتماد استطالة الوصف بذكر كيف كانت تقواهم وصبرهم وطاعتهم لله، التي أوصلتهم لمرتبة التقوى، ثم يلفت نظرهم إلى تفريطهم في جنب الله دون الذكر والتعريض المباشر، حاثًّا لهم على التقوى والتحلي بالصبر، تعويضًا بأنهم لم يتقوا الله فيه، وفي أخيه، ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهم عليهم.

كذلك لا يفوت المتلقي الفرصة في أن يمتلك هو زمام القضية، اعتمادًا على استساغة أمر التبليغ للأنبياء، والتحدث بالنعمة، وإظهار الموعظة:(فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

أما آخر آية وردت في السورة على لسان إخوة يوسف في خطابهم مع يوسف فهي قوله تعالى: ﴿**تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ وهي آية تسبق آية الختام الخاصة ببنية القص، والتي التمَّ فيها شمل الأسرة.

ويلاحظ في البنية اللغوية للآية اتساقها مع بنية خطاب الحضور ليعقوب في مشهد الختام:﴿**قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ**﴾ وبين الآيتين اتفاق في صدر الآية بالقسم، وقد تبين لأبناء يعقوب جرم ما وقعوا فيه.

ويبدو الحس الإيماني متوافرًا في خطاب المرسل، والذي سبق أن نبهه المتلقي لفضل المنعم في الآيات السابقة، ولذلك ناسب خطاب المرسل (أبناء يعقوب) خطاب المتلقي (سيدنا يوسف) في الآيات السابقة، قال تعالى: ﴿**قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا**﴾ والإيثار هو التفضيل بالعطاء، وصيغة اليمين مستعملة بقصد إظهار علمهم ويقينهم بأن ما ناله هو تفضيل من الله، وأنهم عرفوا مرتبته، وليس المقصود وصف المتحصل.

وكي يضمن المتلقي بقاء حالة الاتصال قائمة لم يختم خطابه بالتصريح السابق فقط، بل عمد إلى الاعتذار المرفق حال صدور هذا الأمر منهم طلبًا لسماح المتلقي والعفو عنهم، إذ قالوا ﴿**وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ ومثله قول العزيز لزوجته: ﴿**وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ ويلاحظ أن القرآن الكريم استخدم (الخاطئين) بدلًا من (المخطئين) مع كون المادة واحدة وهي (الخاء - الطاء - الهمزة) ولكن المعنى يختلف، فالخاطئ هو من يعلم منطقة الصواب ويتعداها، أما المخطئ فهو من لم يذهب إلى الصواب، لأنه لا يعرف مكانه أو طريقه إليه.

وطبقًا لدواعي الكفاءة النصية، والتي تعني صياغة أكبر كمية من المعلومات، بإنفاق أقل قدر من الوسائل، نجد استعمال الهيئات التركيبية لإعادة

التعبير كي يتحقق الاتصال الكامل، وما الحذف إلا أبلغ تعبير عن ذلك، ومثله واضح في سكوت الإخوة عن ذكر جرم ما اقترفوه، والاكتفاء بالاعتراف في مقابل طلب العفو، كذلك نجد القرآن الكريم عامة يلجأ في أسلوبه إلى ما يسمى بإعادة اللفظ، وهو التكرار الفعلي للعبارات كما سبق، ويمكن للعناصر المعادة أن تكون هي بنفسها أو مختلفة الإحالة أو متراكبة الإحالة.

ولا ننسى أن الحذف السابق، يقصد به استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة، وطبقًا لظروف كل متلق للنص المعجز.

إن اعتماد القرآن الكريم على مثل هذه الاستراتيجيات في لغة القص يقدم صورًا جيدة من الإسهام في الكفاءة، منها ضغط البنية، وحذف بعض العناصر السطحية، واستبقاء العناصر التي يراد توسيعها أو تطويرها أو تعديلها أو رفضها، والتوازن المناسب بين التكرار والاختلاف في البنية السطحية على حسب ما تتطلبه اعتبارات جودة الرسالة وسبل الإفهام.

ويبدو أن حالة الاختزال، قد أوجدت نوعًا من التسارع في لغة الحوار بين طرفي الاتصال، فقال يوسف (عليه السلام) في صورة المتلقي:﴿**قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عليكم اليوم يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (٩٢).

وعند إعادة لفظ الجلالة في الحالتين، يكون القصد انطباع العنصر المكرر، والغرض المفهومي في ذهن المتلقي، ففي خطاب المرسل:﴿**لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ علينا**﴾ إثبات أمر الاصطفاء والإيثار لله، وفي خطاب المتلقي الذي تحول إلى مرسل في قوله تعالى:﴿**قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عليكم اليوم يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ...**﴾ إثبات أمر المغفرة لله مع طلب العفو، والصفح لهم بعد أن قدم سلوك التسامح والرحمة

في خلق الأنبياء:﴿**لاَ تَثْرِيبَ عليكم اليوم**﴾ وفي هذا إثبات أن العنصر المكرر يكيف حسب بيئته السياقية.

رابعًا: أبناء يعقوب مع فتيان يوسف (عليه السلام):

مكن الله ليوسف في الأرض، وبعد أن أتم البيع لإخوته، وجهزهم بجهازهم جعل السقاية أي إناء الشراب في رحل أخيه، ليستبقيه رغبة في رؤية أبيه، وأذن مؤذن القافلة بما وقع حتى:﴿**قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عليهم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُواْ فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُواْ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥)**﴾ والمرسل هنا في موقف الدفاع عن النفس جزاء حادثة السرقة أو القضية المذكورة، وفي إقبالهم للتحري بيان على أن الإعلام بالسرقة لهم ولغيرهم عندما قال الداعي أو المؤذن (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ).

ومن البنية اللغوية التي استخدمها إخوة يوسف حال الاستفسار:(مَّاذَا تَفْقِدُونَ) قال فتيان يوسف: ﴿**نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ**﴾أما الوسائل التي اعتمدها المرسل في نفي التهمة عن أنفسهم:

القسم بقولهم (تالله) لكن المقسوم عليه ليس صواع الملك، وهذا أبلغ من القسم على صواع الملك، و إنما جاء قسمهم على أنهم أهل صلاح وتقى، حتى روي أنهم كانوا قد سدوا أفواه دوابهم لئلا تعبث في الزروع، وكانوا مواظبين على الطاعات، ومن كانت هذه صفته، فالفساد في الأرض لا يليق به.

والشيء الثاني المتعلق بالمقسوم عليه، أنهم ما كانوا سارقين، وقد حصل لهم فيه شاهد، وهو أنهم لما وجدوا بضاعتهم في رحالهم حملوها من بلادهم إلى مصر، ولم يستحلوا أخذها، والسارق لا يفعل ذلك ألبتة.

فالمرسل في خطابه هنا استعان بالمادة اللغوية الواضحة في أسلوب القسم، وليرفع من درجة خطابه ساق الدليل العقلي، متمثلًا في وصف حالهم بأنهم أهل صلاح، وليس من صفاتهم الإفساد في الأرض، ثم بنى على ذلك دليلًا آخر، وهو الدليل الواقعي في نفي السرقة عنهم، عندما عادوا بالبضاعة مرة ثانية، ولتأكد المرسل من صدق رسالته، وزيادة في إقناع المتلقي عمد إلى إشراكه في بيان أمره عبر الجملة الاعتراضية المبنية على حرف التحقيق، ولام التوكيد، والفعل الماضي المعبر عن وصف زمن مضى وانتهى: ﴿**لقد علمتم**﴾ والمعنى لقد علمتم مما سبق من ظاهر أفعالنا أننا ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين، حيث الاستعانة بأداة النفي في (ما) في صدارة جملتي الوصف.

إن التحليل النقدي للخطاب القائم على النمط التأويلي أو التفسيري قد تخطى دور التحليل الاستنتاجي، حيث يعتمد هذا التحليل على قوة الفئات اللغوية بالإضافة إلى إجراءات أساسية، مثل دور الفاعلين والأسلوب والوقت والزمن والحوار، غير أنه لا يمكن إعطاء قائمة ثابتة من الأدوات اللغوية التي يمكن اللجوء إليها واعتمادها في الوصول إلى ذلك، بل إن كل خطاب يطرح جملًا لاحصر لها من الأدوات والتنوعات.

ولم ينته المشهد عند حد نفي التهمة، بل إن المتلقي يرد ببنية استفهامية تقريرية: ﴿**فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ**﴾ هل معنى ذلك أن المتلقي شك في خطاب المرسل، فلجأ إلى الاستفهام الملحوظ فيه لون التهديد أو الشرطية؟

تدلنا قراءة الفئات اللغوية المستخدمة إلى تأكد فتيان يوسف من أن الصواع في رحل أخيه، ولذلك كان الاستفهام عن المفرد (فما جزاؤه) ولو كان الشك في أمر القبيلة كلها لقال المرسل: (**فما جزاؤكم**) حيث اتسم خطاب إخوة يوسف في هذا المشهد تحديدًا باعتماد الخطاب الجمعي المعبر عن كل أفراد القبيلة: ﴿**قالوا – أقبلوا – جئنا – نفسد – كنا – سارقين**﴾ أما في آية ختام المشهد، ومع تأكد أبناء يعقوب من استحالة وقوع ذلك، جاء التأكيد بمجازاة صاحب هذه الفعلة طبقًا لما كان معمول به في ذلك الوقت، في أن يكون السارق عبدًا لمن سرق منه. كيف سارت الإجراءات الخطابية بين المرسل والمتلقي في هذا المشهد؟

الحالة الاتصالية: بين فتيان يوسف وأبناء يعقوب.

الحدث الاتصالي: فقدان صواع الملك.

منشؤ الخطاب: جملة الافتتاح - مؤذن العير.

أطراف الاتصال: إخوة يوسف - فتيان يوسف.

المرسل الأول: إخوة يوسف في خطاب استفهامي تقريري:﴿**قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عليهم مَّاذَا تَفْقِدُونَ**﴾.

المتلقي: فتيان يوسف في إجابة تقريرية:﴿**قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ**﴾. ويرفعون من أهمية قضيتهم عبر الاستعانة بوسائل تحفيزية للوصول إلى النتيجة، ثم التأكيد على قدرة الفعل:﴿**ولمن جاء به حمل بعير**﴾ ﴿**وأنا به زعيم**﴾.

المرسل: إخوة يوسف يلجأون إلى الرد لاستشعار أن الأمر موجه لهم، ومن ثم تعددت وسائل التبرير والردود على النحو التالي:

- القسم على عدم إفسادهم في الأرض.
- أنه لم يجرب عليهم السرقة قبل ذلك.
- التأكيد على صدقهم من خلال إشراك المتلقي ﴿لقد علمتم﴾.

المتلقي: في تحديد لطرف القضية (المرسل) وبصورة مباشرة، كأن الاتهام موجه لهم:﴿**قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين**﴾.

المرسل: يحدد المرسل العقاب بنفسه لثقته في أمره.

المتلقي: اللجوء إلى الإجراء العملي للتأكد: ﴿**فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه**﴾.

ويلاحظ على السابق التعادلية الواضحة بين خطاب المرسل والمتلقي في موقف بدأ المرسل فيه بالاستفسار، ثم الاستدلال والنفي، ولم يلحظ على الخطاب لجوء أبناء يعقوب إلى اعتماد بنية لغوية تناسب مقامهم، فهم أبناء سيدنا يعقوب، وأنبياء مختارون، كذلك لم يلحظ على خطابهم الانكسار أو شكهم في سلوك أخيهم، بما يعني أن معرفتهم بأخوة يوسف لهم أو لأخيهم الصغير لم تتحقق بعد، كذلك حبهم لتطبيق العدل بمقتضى شريعتهم.

أما فتيان يوسف فيبدو أن الأمر لم يتم دون معرفتهم، ومن ثم كان خطابهم يجنح إلى استبقاء الأخ الصغير بجانب سيدنا يوسف (عليه السلام)، فقد جاء طرح الجزاء سريعًا، وحتى تكتمل حبكة القص، وإيهام المتلقي بأن ما وقع أمر غير مدبر، عمد فتيان يوسف إلى أسلوب التحفيز السابق توضيحه. والله تعالى أعلى وأعلم والحمد لله رب العالمين.

أخيرًا....

لا يعتبر الوقوف على تحليل نوعية الخطابات السابقة نهاية بحث أو استيفاء غرض، ذلك أن القصة حافلة بعدد كبير من الشخصيات التي شكل فيها الحوار الطرف الأساس من التواصل.

وباعتبار الحوار جزءا بنائيًّا محددًا في سورة يوسف عليه السلام، وهو قبل ذلك خصيصة مهمة في التكوين البشري منذ عهد الإنسان الأول، خصيصة تجعل الظاهر من حوار شخصين غير محصور في هذا المدى المنظور، وإنما يمر عابرًا إلى المتلقي الذي يكون في مثابة الشخص الثالث غير المرئي بين هذين الشخصين المتحاورين، فإن دائرة الكلام دائرة مفتوحة غير منغلقة، وبخاصة في القرآن الكريم.

وعند النظر بصورة إجمالية في سياق الأحداث السابقة ستجد أنها جاءت في سياق واحد متتابع، وعبر توافق منطقي لجوهر الحكي، في بلاغة بنائية، يسلمنا فيها كل حدث إلى آخر، عبر خيط ثابت ممتد يمثل العمود الفقري لجوهر الحكي، ذلك هو تأويل الرؤيا التي بدأت من افتتاح القص، وصولا إلى الآيات (٨٤-١٠١) التي تم فيها التأويل والإفصاح.

إن أحداثًا مثل رؤيا يوسف عليه السلام في الآيات (٤-٦) وحسد الإخوة (٧ - ١٨) ويوسف عند عزيز مصر(١٩-٢١) ومحنة المراودة (٢٢-٣٤) ويوسف في السجن مع رؤيا الملك (٣٥-٤٩) وبراءة يوسف ، والتمكين له (٥٠-٥٧) وقدوم إخوته عليه السلام ، واجتماعه بأخيه (٥٨-٨٣) وتأويل الرؤيا (٨٤-١٠١) تترابط في القصة ترابط السبب والنتيجة، حيث تتنامى الوظائف وتتناسل اللاحقة من السابقة حتى تكتمل القصة.

وبالرغم من تعدد المقاطع القصصية الموجودة بالسورة، والتي تبلغ ثمانية كما هو موضح، فإن هذه المقاطع تتوزع على أربعة عشر موقعًا زمنيًّا بحسب سياق كل حكاية. لقد كان الحكي سابقًا عن الحوار باعتباره جزءا من الأسلوب القرآني، وهذا صحيح، لكن الحوار في القرآن الكريم محرك حي للأحداث، مصور للشخصيات، مؤزم للموقف حين يحتدم، مؤديا للهدف، مظهرًا للمغزى، وهو أيضًا ميدان فسيح لمتابعة الوظائف الدلالية والتنوع التداولي.

إن منطلقات البحث السابق رصد اختلاف نوعية الحوار وأساليبه طبقا للشخصيات، وتطور الحدث وتصاعده، ومتى يكون الخطاب مكثفًا أو مكتنزًا من أجل النقل والإخبار طبقا لكل مشهد؟

وبالرغم من بناء أغلب أحداث القصة على الحوار آلية بناء، فإن بعض تقاطعات هذا الحوار جاءت محملة ببنية وصف، كما في حال خطاب يعقوب عليه السلام، ليكون جزءًا في تحليل الأوضاع النفسية والاجتماعية ذاتيا وموضوعيا، وحتى يسمح ذلك بالاستنتاج والمقارنة والتحليل الباطني الخاص، وتوظيف المثل والتذكر والاعتبار.

اعتمد الخطاب في سورة يوسف أيضًا على دلالة الترميز الحديثة التي تبنى عليها بعض القصص، وبخاصة القصيرة منها، حيث البعد عن التقرير أو المباشرة الظاهرة والتوضيحات الزائدة، ومثل هذه الآلية تجعل للحوار القصصي طاقة تعبيرية فاعلة في الخطاب، فضلًا عن توسيع بعض الاستعارات وخروجها عن حدودها النمطية.

إن هذا الحوار الترميزي الموجود مثلًا في خطاب سيدنا يوسف عليه السلام، وكذلك خطاب سيدنا يعقوب، تعتبر فيه اللفظة الواحدة أساسًا لعملية

الترميز، التي هي ذات إيحاء خاص وجزئي، حيث تتحرك اللفظة بذاتها لتعبر عن معلومات نبوئية.

كذلك يعتبر الموقف الحدثي الذي يحلل عبر تأويل الحدث والفعل والبحث عن الإيحاء الشمولي الكلي وصولا إلى ترميز الواقع، وسيلة اختزالية محكمة، تكثف نوعًا وكمًّا لرؤية اجتماعية وتاريخية حقيقية.

من جملة النتائج المتحصلة لهذا البحث ما سمي حديثا بمناجاة النفس، وهي طريقة من طرق الحوار الداخلي، حيث النزوع الذاتي الخالص، كما هو واضح في خطاب سيدنا يوسف، وتعلق امرأة العزيز والنسوة في المدينة به، إن سمة وجود السامع من أهم سمات المناجاة في سورة يوسف، كما في خطابي سيدنا يوسف، وسيدنا يعقوب عليهما السلام.

يصح القول أيضًا إن خطاب إخوة يوسف عليه السلام قد استعان في بعض حواره بما يسمى بالارتجاع الفني، حيث استدعاء أحداث الماضي، وجعلها تنشط في نطاق الزمن الحاضر أي زمن القص، بقصد توضيح ملابسات موقف ما، وهذا الاسترجاع في حقيقته هو استرجاع للواقع الغائب لحظة حصول الحدث الحاضر، والذي يتم بوساطة انفعال خاص ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾. وإكمالًا لمنهج البحث جرى تحديد أطراف الاتصال في سورة يوسف عليه السلام، والآيات الموزعة بين أطراف الاتصال، سواء في حالة الإرسال أو الاستقبال .

ملاحق الكتاب

أولاً: جداول ومخططات لأطراف الاتصال.

ثانيًا: رسم بياني لآليات الاتصال داخل السورة.

ثالثًا: مخططات أدوار الخطاب فى سورة يوسف.

رابعًا: سورة يوسف عليه السلام

obeikandl.com

أولاً: جداول ومخططات لأطراف الاتصال في سورة يوسف:

الآية ورقمها	المرسل	المتلقي	أطراف أخرى في التلقي
(١ – ٣)	الله جل جلاله	سيدنا محمد	باقي الأمة
(٤)	يوسف عليه السلام	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(٥ – ٦)	سيدنا يعقوب عليه السلام	يوسف عليه السلام	
(٨ – ١٠)	إخوة يوسف	إخوة يوسف	
(١١ – ١٢)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(١٣)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(١٤)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(١٧)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(١٨)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(١٩)	القافلة	القافلة	
(٢١)	عزيز مصر	امرأة العزيز	

obeikandl.com

الآية ورقمها	المرسل	المتلقي	أطراف أخرى في التلقي
(٢٣)	امرأة العزيز	يوسف عليه السلام	
(٢٣)	يوسف عليه السلام	امرأة العزيز	
(٢٥)	امرأة العزيز	عزيز مصر	
(٢٦)	يوسف عليه السلام	امرأة العزيز	العزيز/الشاهد
(٢٦)	الشاهد	امرأة العزيز	العزيز/ يوسف عليه السلام
(٢٨)	الشاهد	امرأة العزيز	العزيز/ يوسف عليه السلام
(٢٩)	عزيز مصر	يوسف عليه السلام	امرأة العزيز
(٣٠)	النسوة في المدينة	النسوة في المدينة	
(٣١)	امرأة العزيز	النسوة في المدينة	يوسف عليه السلام
(٣١)	النسوة في المدينة	امرأة العزيز	يوسف عليه السلام
(٣٢)	امرأة العزيز	النسوة في المدينة	يوسف عليه السلام
(٣٣)	يوسف عليه السلام	الله جل جلاله	

obeikandl.com

الآية ورقمها	المرسل	المتلقي	أطراف أخرى في التلقي
(٣٦)	الفتى الأول في السجن	يوسف عليه السلام	
(٣٦)	الفتى الثاني في السجن	يوسف عليه السلام	
(٣٧ – ٤١)	يوسف عليه السلام	الفتيان	
(٤٢)	يوسف عليه السلام	الفتى الثاني	
(٤٣)	الملك	الملأ	
(٤٤)	الملأ	الملك	
(٤٥)	الفتى الناجي	الملأ	
(٤٦)	الفتى الناجي	يوسف عليه السلام	
(٤٧ – ٤٩)	يوسف عليه السلام	الفتى الناجي	
(٥٠)	الملك	الملأ	
(٥٠)	رسول الملك	يوسف عليه السلام	
(٥٠)	يوسف عليه السلام	رسول الملك	
(٥١)	الملك	النسوة في المدينة	امرأة العزيز
(٥١)	النسوة	الملك	
(٥١)	امرأة العزيز	الملك	النسوة في المدينة
(٥٢-٥٣)	امرأة العزيز	الملك	النسوة

obeikandl.com

الآية ورقمها	المرسل	المتلقي	أطراف أخرى في التلقي
(٥٤)	الملك	الملأ	
(٥٤)	يوسف عليه السلام	الملك	
(٥٤)	الملك	يوسف عليه السلام	
(٥٩ – ٦٠)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٦١)	إخوة يوسف	إخوة يوسف	
(٦٢)	يوسف عليه السلام	فتيانه	
(٦٣)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(٦٤)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٦٥)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(٦٦)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٦٧)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٦٩)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٧١)	إخوة يوسف	فتيان يوسف	
(٧٢)	فتيان يوسف	إخوة يوسف	

obeikandl.com

الآية ورقمها	المرسل	المتلقي	أطراف أخرى في التلقي
(٧٣)	إخوة يوسف	فتيان يوسف	
(٧٤)	فتيان يوسف	إخوة يوسف	
(٧٥)	إخوة يوسف	فتيان يوسف	
(٧٧)	إخوة يوسف	يوسف عليه السلام	فتيان يوسف
(٧٧)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٧٨)	إخوة يوسف	يوسف عليه السلام	
(٧٩)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٨٠)	إخوة يوسف	إخوة يوسف	
(٨٠)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(٨٣-٨٤)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٨٥)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(٨٦)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٨٧)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٨٨)	إخوة يوسف	العزيز/ يوسف عليه السلام	

obeikandl.com

الآية ورقمها	المرسل	المتلقي	أطراف أخرى في التلقي
(٨٩)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٩٠)	إخوة يوسف	يوسف عليه السلام	
(٩٠)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٩١)	إخوة يوسف	يوسف عليه السلام	
(٩٢)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٩٣)	يوسف عليه السلام	إخوة يوسف	
(٩٤)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٩٥)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(٩٦)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	البشير
(٩٧)	إخوة يوسف	سيدنا يعقوب عليه السلام	
(٩٨)	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف	
(٩٩)	يوسف عليه السلام	سيدنا يعقوب عليه السلام	إخوة يوسف
(١٠٠-١٠١)	يوسف عليه السلام	سيدنا يعقوب عليه السلام	باقي الأسرة

obeikandl.com

ثانيًا: رسم بياني لآليات الاتصال داخل سورة سيدنا يوسف عليه السلام حيث يوضح الرسم عدد حالات الإرسال والاستقبال داخل السورة، قياسًا بأطراف الاتصال الأخرى، مما يفتح الباب للكثير من الدراسات الجادة المهتمة بتفسير القرآن الكريم والوقوف على بعض نواحي إعجازه:

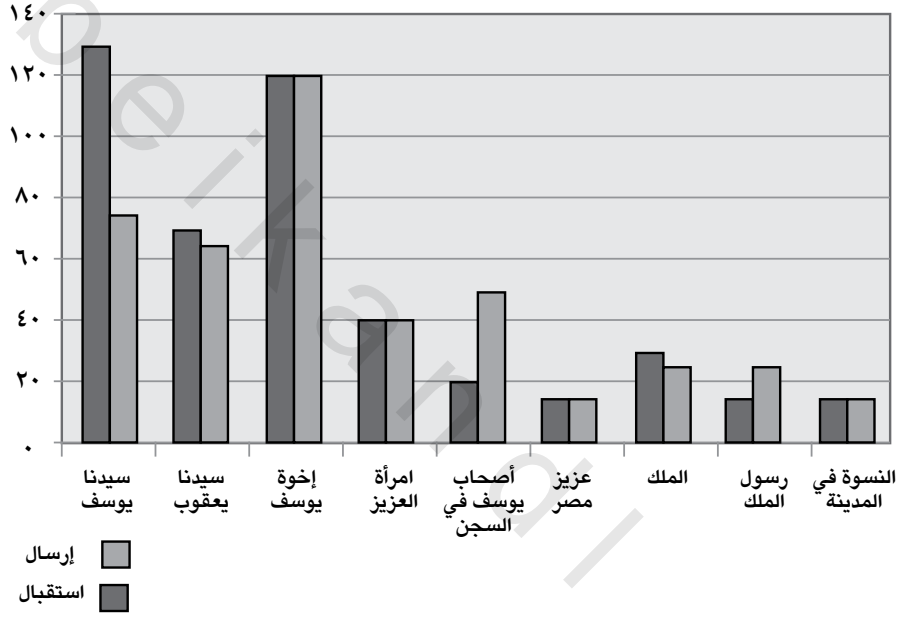

فمن خلال الرسم البياني يمكن عرض النتائج الآتية:

جاء سيدنا يوسف عليه السلام في المرتبة الأولى من حيث الإرسال، لكون مدار الحكي أكثر تعلقًا به، وعليه يدور فعل القص منذ افتتاحية السورة، بالإضافة إلى أن الحكاية في أصلها ترصد لمراحل عمر يوسف عليه السلام المختلفة منذ كان صبيًّا حتى صار عزيزًا لمصر، وهي سياحة زمانية طويلة تناسب الشخصية التي استحوذت على أعلى درجات الإرسال، الأمر الذي يؤكد جودة النص ومناسبة الشخصية للحدث، واتساقها مع الخطاب المقدم لها داخل البنية الكبرى للقصة.

خاطب يوسف عليه السلام أكثر من متلق، وبحسب الآيات وعددها نجد أن سيدنا يوسف عليه السلام جاء مرسلًا مايقرب من واحد وعشرين مرة مع سبعة أطراف للتلقي وقف عندها البحث: (سيدنا يعقوب -إخوة يوسف- امرأة العزيز - الملك - رسول الملك - الفتيان في السجن - فتيان يوسف) ، بالإضافة إلى أطراف ثانوية: (العزيز - الشاهد - باقي الأسرة.....) أما أطول حالات الاتصال فتمت بين سيدنا يوسف عليه السلام وإخوته عبر الآيات: (٥٩، ٦٠، ٦٩، ٧٧، ٧٩، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٩) ثم الصاحب الثاني عبر الآيات: (٣٧، ٤٨، ٤٩) ثم سيدنا يعقوب في الآيتين (٤، ١٠٠) ثم أصحاب يوسف في السجن (٣٦، ٤٢) ثم (الملك / ٥٥) و(عزيز مصر / ٢٦) و(امرأة العزيز / ٢٢) و(الأسرة كلها /٩٩) و(فتيان سيدنا يوسف/٦٢).

على ذلك فإن لحمة الحوار تمت بين يوسف وإخوته، في دلالة قاطعة بأن بؤرة الحدث ومركزيته ليست في غواية امرأة العزيز، ولا افتنان النسوة به، ولا توليه حكم مصر، ولا لم شمل الأسرة، وإنما تتبع جوهر علاقة الأخوة بين يوسف وإخوته، هذه العلاقة التي تعتبر حدثًا مركبًا احتوى بداخله العديد من الدلالات الهامشية التي بدأت من حالة القص عندما صرح الغلام لأبيه بالرؤيا، وصولاً لتأويل الرؤيا في نهايةالسورة .

وبافتراض أن لهذه القصة تكوينًا دراميًّا تبعًا لتقسيمات المحدثين الذين يربطون الأحداث بالشخصيات، وصولاً لتحديد ثانوية الشخصية من رئيسيتها داخل سياقية الحدث، فإن القراءة السابقة - لو اعتمدنا المعيار الكمي - تظهر يوسف عليه السلام شخصية أساسية داخل البناء الدرامي ثم الإخوة، لكن المستوى الكمي قد لايعطينا نتائج دقيقة، ذلك أن هناك من الشخصيات قد تكون حركتها داخل البناء الدرامي بسيطة ومحدودة، لكنها فاعلة ومؤثرة، وتمثل نقطة ارتكاز مهمة في البناء وجوهر القص مثل سيدنا يعقوب عليه السلام، ألا ينتهي إليه مصير

الأحداث؟ أليس انقضاء خطاب الإخوة جميعهم متعلقًا بالأب الشيخ البعيد مكانيا الحاضر زمانيا في خطابهم؟ ألم يُبن عليه مدار خطابهم ومنتهى تصرفاتهم؟

وما يقال عن علاقة الأب عليه السلام بأبنائه يقال أيضًا عن علاقة الغلام يوسف عليه السلام بأبيه، فهو الحاضر دائمًا في وعيه، وإليه تحمل الرؤيا والرغبات ، وإليه تشتاق النفس التي هدها البعد في مصر بعد أن استوى بها عزيزًا مكرمًا.

لقد تقاطع خطاب يوسف عليه السلام مع عدد كبير من الشخصيات باعتباره الفاعل الأساسي في القصة، في حين تقاطع خطاب يعقوب عليه السلام مع شخصيتين رئيسيتين هما سيدنا يوسف عليه السلام وأبنائه، وندر وجوده في أكثر أحداث القصة، بالرغم من شخصيته الرئيسة، فلم يكن موجودًا مثلاً في بيت العزيز، ولم يكن موجودًا في كافة الأزمات التي حدثت ليوسف عليه السلام، وكذلك مع أبنائه الذين اتفقوا خفية على النيل من يوسف ، ثم رحيلهم لطلب الميرة، ثم التقاؤهم بعزيز مصر.

إن نموذجًا حكائيًّا مثل السابق، ليعزز القول بأن قصة يوسف عليه السلام التي اختصت بها سورة يوسف لوحة بديعة من فن القص النموذجي المعجز الذي يقيس درجة الشخصية بمستوى فاعليتها في الحدث لا حضورها الكمي.

لقد جاء يوسف عليه السلام في أحداث القصة مرسلًا وفاعلًا مع شخصيات متتابعة، وليست متداخلة، بمعنى أن بنية الاستباق الزمني لم تكن حاضرة داخل النمط الحكائي، فالقص جاء على النحو الآتي: (الأب ثم الإخوة ثم امرأة العزيز والنسوة ثم صاحبا السجن ثم الملك ثم امرأة العزيز والنسوة ثم الإخوة ثم الأب) بصورة دائرية متصلة البدء بالختام، فالأب الذي افتتح البناء القصي هو نفسه الذي انتهى عنده مشهد الختام، والأبناء الذين حضروا في المشهد الثاني من بنية

القص هم أنفسهم الذين حضروا في مشهد الختام، والمشاهد التي تسبقه، وامرأة العزيز والتي كونت المشهد الثالث هي نفسها التي اشتركت في المشهد قبل الأخير بعد خروجه من السجن، أما الملك وأصحاب يوسف في السجن، فكان موقعهما في منتصف القص.

لكن حادث الرؤيا الذي وقع ليوسف عليه السلام، والذي بني عليه فعل القص، يتنازعه طبقًا للسابق- رأيان ، هل يمكن اعتبار الرؤيا التي حدثت ليوسف عليه السلام طبقًا للبناء القصص، استباقًا زمانيًّا ناتجًا من السرد الزمني للحكاية ، أو نوعًا من الفلاش باك التأويلي، إن هذا الفعل من وجهة نظرنا يبدو تكنيكًا قرآنيا مميزًا، اعتمد الرمز بداية قص في بنية الافتتاح وبنية الإغلاق، فما رآه يوسف حلمًا جرى وقوعه يقينًا وواقعًا، والرؤيا الصادقة من النبوة، فكأن القرآن الكريم يصرح في بداية السورة بما سيقع، وهو التقاء يوسف بإخوته، وهي آلية تبتعد بالتأكيد عن الفلاش باك الذي يعيد بناء أفعال القص من قمتها، وصولًا لنهايتها في إطار تتابع من الأعلى حتى الأسفل، لو افترضنا أن البناء الروائي أو القصصي يأخذ شكلًا هرميًّا متصاعدًا، وصولاً لنقاط الكشف وبنية الخاتمة.

كذلك يعطينا أيضًا المخطط البياني، والذي ظهر فيه سيدنا يوسف عليه السلام مرسلًا، أكثر من كونه مستقبلاً دلالة على انسجام الحوار مع الشخصية؛ فهو الشخصية الرئيسة، وعليه بنيت القصة القرآنية، التي شارك هو في بث بعض حواراتها، وأضاء عن جوانب خفية من حياته، فالإرسال بالتأكيد سيكون أعلى من الاستقبال ، الأغرب في حوار يوسف عليه السلام داخل بنية السورة أن استقباله جاء بتردد أعلى من كل الشخصيات وبخاصة إخوته الذي تساوى في حوارهم عنصرا الإرسال والاستقبال في دلالة على تعادلية إسهامهم داخل المتن القصصي، مع انشغالهم داخل السورة بقضيتين أساسيتين، قضية التخلص من يوسف عليه السلام، وهو الأمر الذي تم مبكرًا بالنسبة لهم، ثم الحصول على الميرة والأطعمة

من مصر، في حدث شكل امتدادًا زمانيًّا متواصلًا ، سمح باستطالة أحداث أخرى بجواره، وبخاصة الأحداث المتعلقة بسيدنا يوسف عليه السلام.

وبمراجعة حالات الاتصال التي انعقدت لسيدنا يوسف عليه السلام داخل السورة أيضًا، وبحسب الآيات من (١ - ١٠١) والتي اختصت بأحداث القصة، فإن حالات الاتصال انعقدت سبع مرات في الآيات: (٤، ٢٣، ٢٦، ٣٣، ٣٧، ٤٢، ٤٧) في الخمسين آية الأولى (١- ٥٠) وانعقدت أربع عشرة مرة في الآيات من (٥٠ - ١٠١) بما يعني تناسب عدد المشاركات مع التنامي العمري، ومدى تفاعلها داخل الحدث ، وبخاصة لو علمنا أن الحالات الاتصالية المنعقدة ليوسف عليه السلام في الآيات(١- ٥٠) اختصت بالحديث عن قضايا ثلاثة: (علاقته عليه السلام بالإخوة وحديث الرؤيا - خبر امرأة العزيز - يوسف عليه السلام في السجن) ومع تطور الأحداث واشتعال ذروة القص والحدث ارتفعت نسب المشاركة التي أصبحت فاعلة ومحركة للحدث كان عليه السلام في الآيات من (١ - ٥٠) في صورة متلق سلوكه التفويض والتوكل، وكان عليه السلام في الآيات من (٥٠ - ١٠١) عزيزًا لمصر يملك التصرف والميرة، وإدارة شئون البلاد في حكمة وأمانة شاكرًا لربه الذي رأف به في محنته وابتلائه.

وطبقًا لحالات الاتصال أيضًا فإن إخوة يوسف عليهم السلام يمثلون المرتبة الثانية إرسالًا واستقبالاً، في دوائر اتصال أقل من دوائر الاتصال المتعلقة بسيدنا يوسف: (سيدنا يعقوب - سيدنا يوسف - فتيان يوسف) أما وجودهم داخل السورة فظهر أربع مرات في الآيات من (١ - ٥٠) وست عشرة مرة في الآيات من(٥٠ - ١٠١) قياسًا على سلوك الإرسال بما يعني أن النسبة (١- ٤) حيث انتهى الحدث الأول الذي شغلهم بسرعة، وهو التخلص من سيدنا يوسف عليه السلام، وكان انشغالهم بطلب الميرة، وهو انشغال حياتي مستمر لأجل تدبير المأكل والمشرب المسيطر على جوهر أفعالهم ، فلم تحدث لحظة الاستنارة والكشف إلا في الآيات

الأخيرة ، ذلك أن شغلهم لم يكن بحثًا عن يوسف الذي تخلصوا منه سابقًا، ولكن تدبير المعيشة مع البر بالأب الشيخ الذي آلموه في الابن الأول . وقد جاء سلوك الاستقبال مساويًا للإرسال دلالة على امتلاكهم روح المشاركة والحوار والنصح، وعودتهم إلى الحق.

أما خطاب سيدنا يعقوب فلم تتشعب دوائر اتصاله، وعبر سلوك إيجابي واضح، وتفويض أب شيخ في محنة ابتلي بها، انعقدت حالات الاتصال بينه وبين (يوسف عليه السلام، وأبناء يعقوب)وكان سلوك الإرسال أكثر من الاستقبال لمقام الأبوة والسن، مع قلة في المحتوى الكلامي المستخدم.

وفي الآيات من (١ - ٥٠) داخل السورة انعقدت حالات الاتصال (ثلاث مرات) الأولى مع سيدنا يوسف عليه السلام، والثانية والثالثة مع الإخوة. وفى الآيات من (٥٠- ١٠١) انعقدت حالات الاتصال (تسع مرات) وكلها مع أبنائه، أما آيات الختام (٩٩ - ١٠١) فكان المرسل سيدنا يوسف عليه السلام، والمتلقي سيدنا يعقوب وباقى الأسرة ، وعلى ذلك لم ينعقد حوار اتصالي بين يعقوب ويوسف إلا في آيتين اثنتين، ففي أول السورة تناوب سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف حالتي الاتصال (الإرسال والاستقبال) وآيتين اثنتين في نهاية السورة جاء فيهما سيدنا يوسف مرسلًا وسيدنا يعقوب متلقيًا مع باقي الأسرة. أي أن حالة القص بدأت بسيدنا يوسف مع سيدنا يعقوب، وختام القص انتهى بسيدنا يوسف مرسلًا وسيدنا يعقوب أيضًا مستقبلاً في تماثل استهلالي وختامي رائع لبنية قصصية قرآنية خلابة.

أما حالات الاتصال (الإرسال - الاستقبال) لامرأة العزيز فجاءت متعادلة، وإن اهتم إرسالها بشيئين متناقضين (غواية سيدنا يوسف - إثبات عفة سيدنا يوسف عليه السلام) ولم يخرج خطابها عن ذلك، والمعنى أن الإرسال والاستقبال جاء متوازنًا ليتساوى الفعل مع رد الفعل، أو إثبات سلوك الإغواء مع دحض شبهات الوقوع فيه، وإثبات الطهر والعفاف ، كذلك انعقدت حالاتها الاتصالية

ست مرات موزعه بين دوائر اتصال كالآتي: (يوسف عليه السلام /٢٣) (عزيز مصر/ ٢٥) (النسوة في المدينة /٣١، ٣٢) (الملك / ٥١) (الملك / ٥٢ - ٥٣).

ويبدو على هذا الخطاب التنوع بين الخطاب الأنثوي حيث خطاب امرأة العزيز مع النسوة في المدينة، وخطاب الأنثى للرجل (امرأة العزيز - سيدنا يوسف) وخطاب الأنثى للرجل إذا كان ذا سلطة(امرأة العزيز - الملك) وخطاب الأنثى للرجل لو كان زوجًا لها (امرأة العزيز - عزيز مصر) وعلى ذلك يمكن رصد التنوعات الأسلوبية في كل خطاب على حدة لامرأة من علية القوم، وتملك سلوكًا من السيطرة على زوجها عزيز مصر.

إن حادثة الإغواء التي ظهر فيها زيف قولها واتهامها الباطل ليوسف عليه السلام، كانت تستوجب رد فعل من الزوج حتى لو في صورة بناء لغوي زاجر ، لكنه لم يفعل، وفي سلوك تودد وحب يثنى على يوسف رفضه، ناصحًا له بعدم انجراره لهذه الأفعال السيئة قائلاً له: ﴿يوسف أعرض عن هذا ﴾ وإذا كان من منطلقات البحوث الجادة أن تثير لدى المتلقي جملة من الاستفسارات، فإن منطقية علم تحليل الخطاب القائم على أطر وإجراءات لغوية دقيقة من واقع المادة اللغوية نفسها؛ يقدم جملة من التساؤلات التي يرجى الوقوف عليها وصولًا إلى بعض تجليات آيات القرآن الكريم ومذهبه البلاغي الأخاذ والمعجز، ومن واقع المخطط البياني فإنه يرجى الوقوف عند درجات مشاركة كل شخصية في السورة ، ونسبة الإرسال والاستقبال، ولماذا جاء إرسال بعض الشخصيات أكثر من اسقبالها؛ ولماذا تساوى طرفا الإرسال والاستقبال في العملية الاتصالية داخل السورة عند بعض الشخصيات مثل امرأة العزيز والنسوة في المدينة وعزيز مصر وإخوة يوسف عليهم السلام؛ وعلى المقابل لماذا جاء استقبال بعض الشخصيات أكثر من إرسالها؟ وكيف يتلون سلوك الإرسال والاستقبال تبعًا للسياق وشخصية المرسل أو المستقبل؟ ولماذا كانت مشاركة البعض في أحداث القص أقوى من

غيره؟ وما أثر ذلك في البنية القصصية؟ وهل تناسب سلوك الإرسال أو الاستقبال مع كل شخصية؟!

الحق إن هناك من التساؤلات الكثيرة التي ينبغي أن يكشف عنها الدرس التفسيري للقرآن الكريم مستفيدًا من إجراءات مناهج تحليل الخطاب الجديدة التي فتحت آفاقًا رحبة في التعامل مع كافة البنيات اللغوية المنضبطة، وبخاصة القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

obeikandl.com

ثالثًا: مخططات أدوار الخطاب في سورة يوسف

مخطط (١):

يوضح المخطط كيف تم الخطاب داخل السورة، والطرف الأساس الذي بني عليه جوهر الحكي، وفيه يظهر سيدنا يوسف عليه السلام شخصية أساسية تملك سلوك الإرسال والاستقبال.

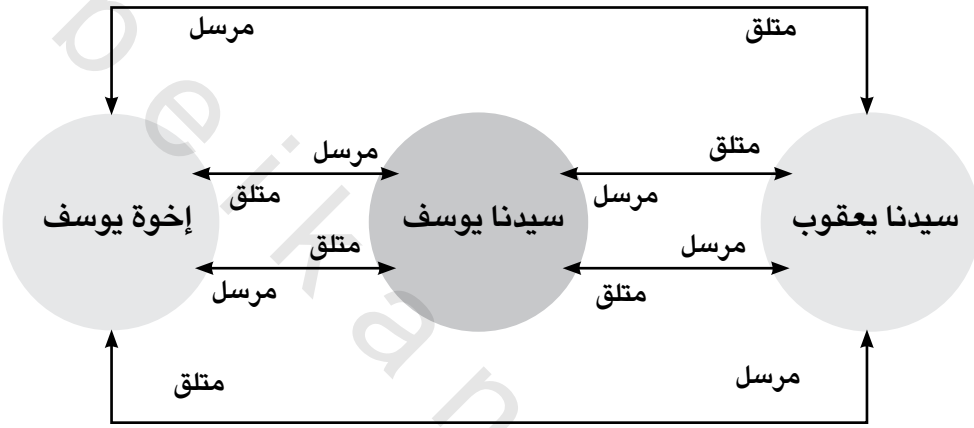

obeikandl.com

مخطط (٢):

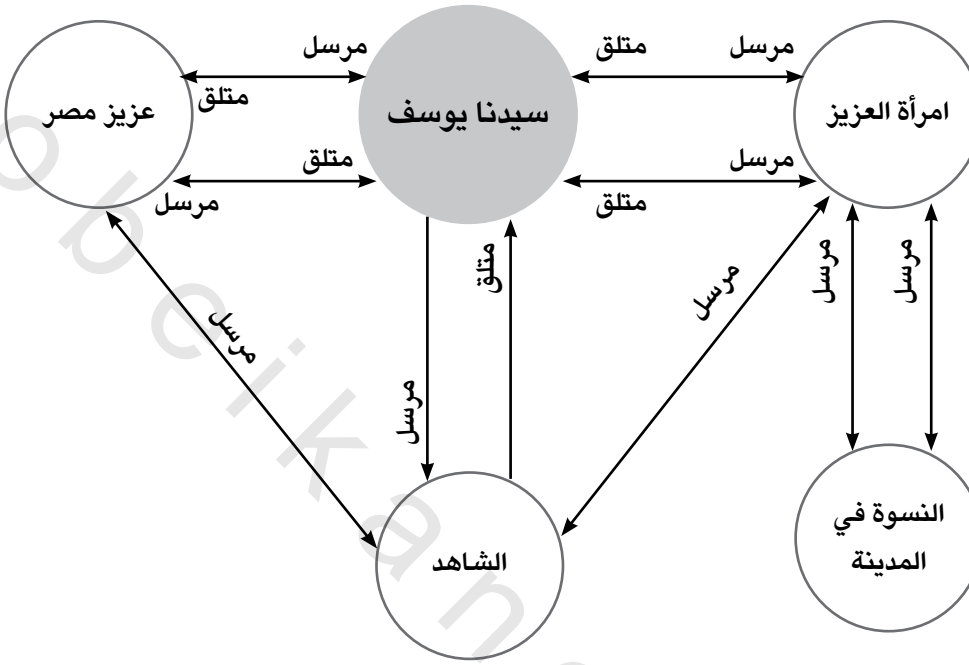

يوضح المخطط الحدث الاتصالي بين: (سيدنا يوسف عليه السلام - امرأة العزيز - عزيز مصر - النسوة في المدينة - الشاهد).

obeikandl.com

مخطط (٣):

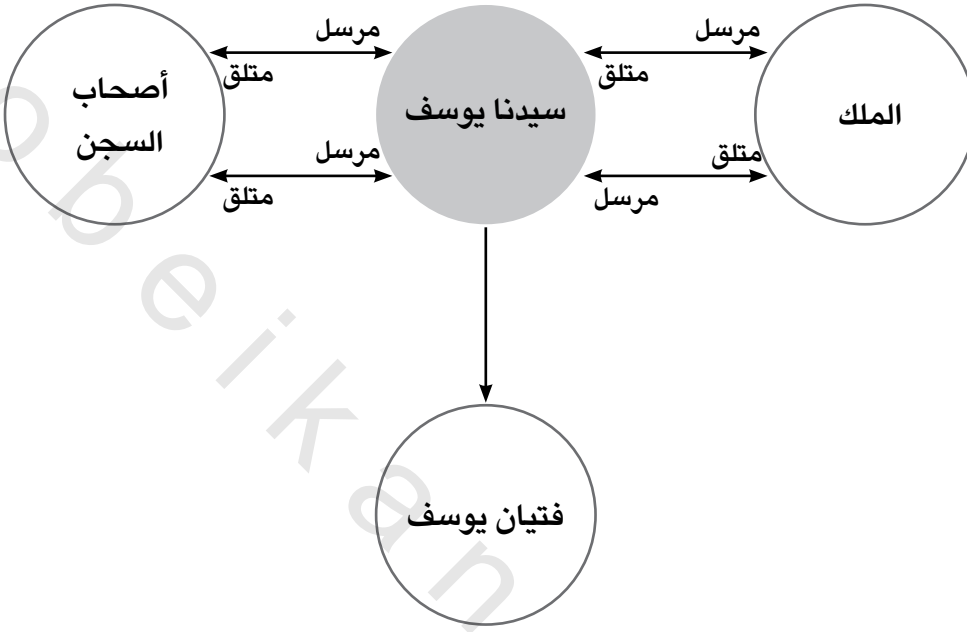

يظهر المخطط المحور الأساسي في دائرة الحكي داخل السورة، وهو سيدنا يوسف عليه السلام، وتبادل الهيئة الاتصالية بين الإرسال والتلقي (يوسف عليه السلام - الملك) (يوسف عليه السلام - أصحاب السجن) (يوسف عليه السلام - فتيان يوسف).

وقد جاء يوسف مرسلًا ومستقبلًا في العمليات الاتصالية السابقة، إلا مع فتيانه، وهو عزيز مصر حيث جاء مرسلًا فقط- وهو أمر يناسب مقامه الاجتماعي طبقًا لسياق القص.

obeikandi.com

مخطط (٤):

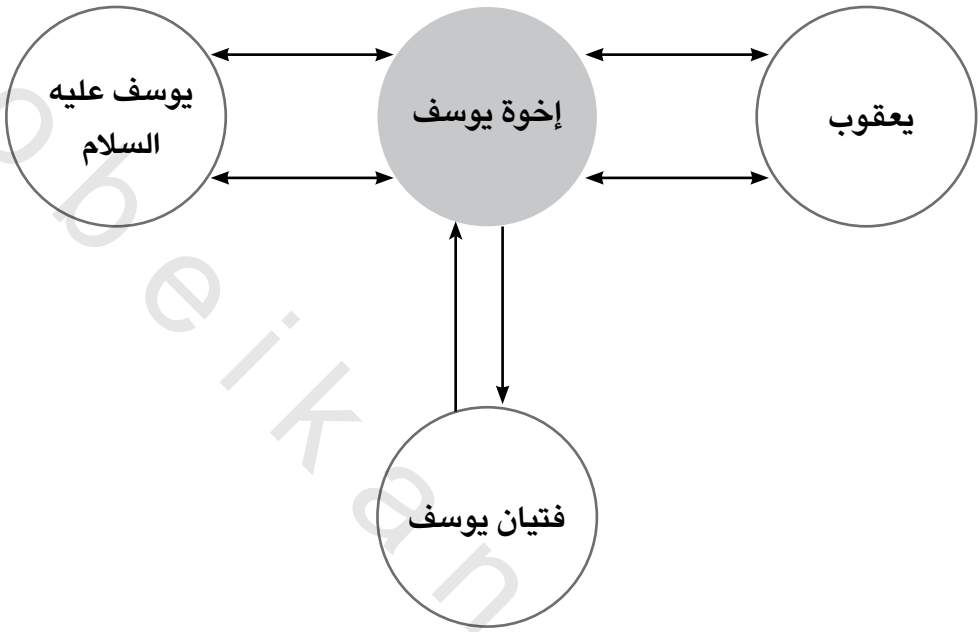

يوضح هذا المخطط سلوك الشخصية الأساسية الثانية ، في بنية القص وهم (إخوة يوسف) ويظهر تفاعلهم داخل القص من خلال دوائر الاتصال (سيدنا يعقوب - سيدنا يوسف - فتيان يوسف).

obeikandl.com

مخطط (٥):

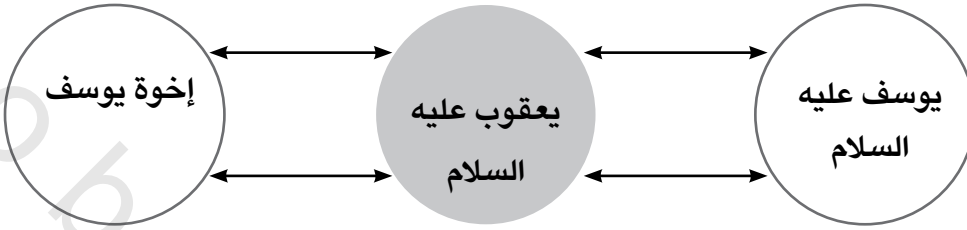

يوضح هذا المخطط الشخصية الثالثة (الأساسية) في بنية القص سيدنا يعقوب ودوائر الاتصال معه (سيدنا يوسف عليه السلام - إخوة يوسف).

obeikandl.com

مخطط (٦):

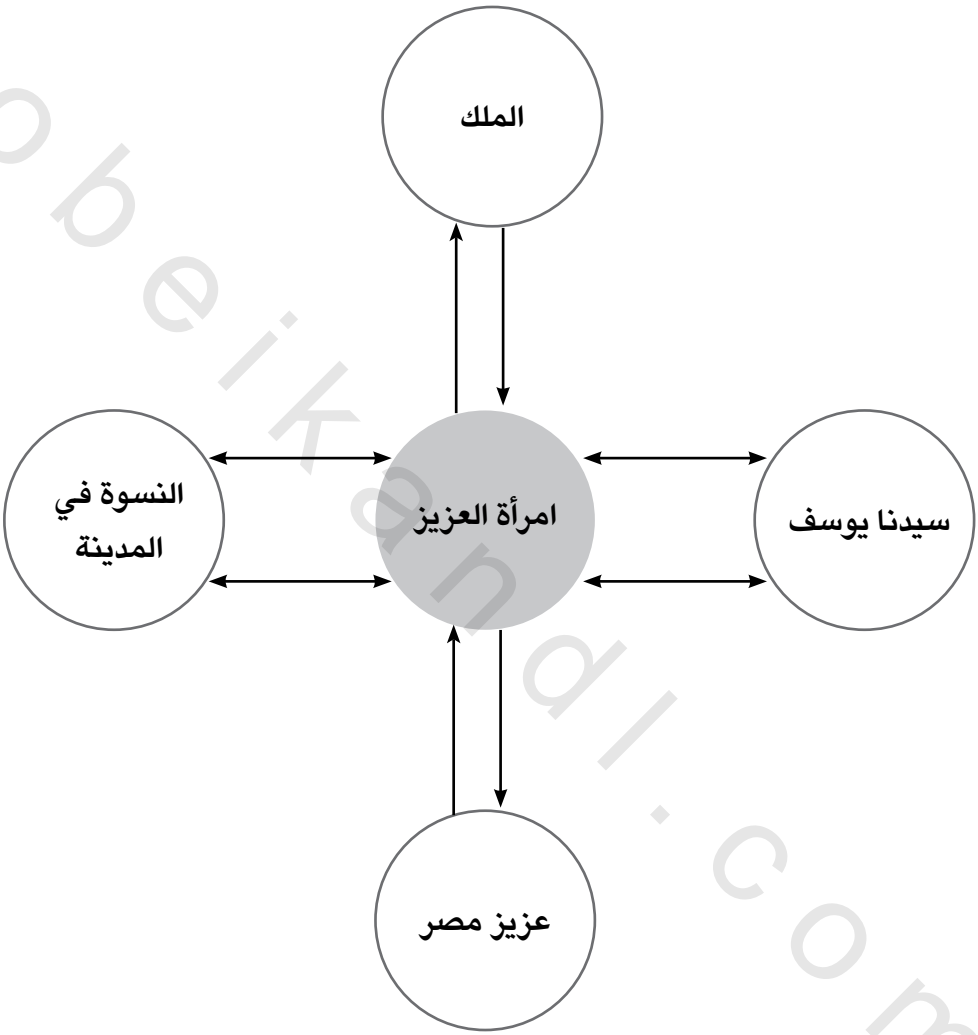

يوضح هذا المخطط دور امرأة العزيز داخل الأحداث الاتصالية في القصة وشبكة علاقاتها المحددة وهم: (سيدنا يوسف عليه السلام - الملك - عزيز مصر - النسوة في المدينة) ويحسب لهذا الخطاب أنه الأكثر تنوعًا في بنية السورة بعد خطاب سيدنا يوسف عليه السلام.

obeikandl.com

مخطط (٧):

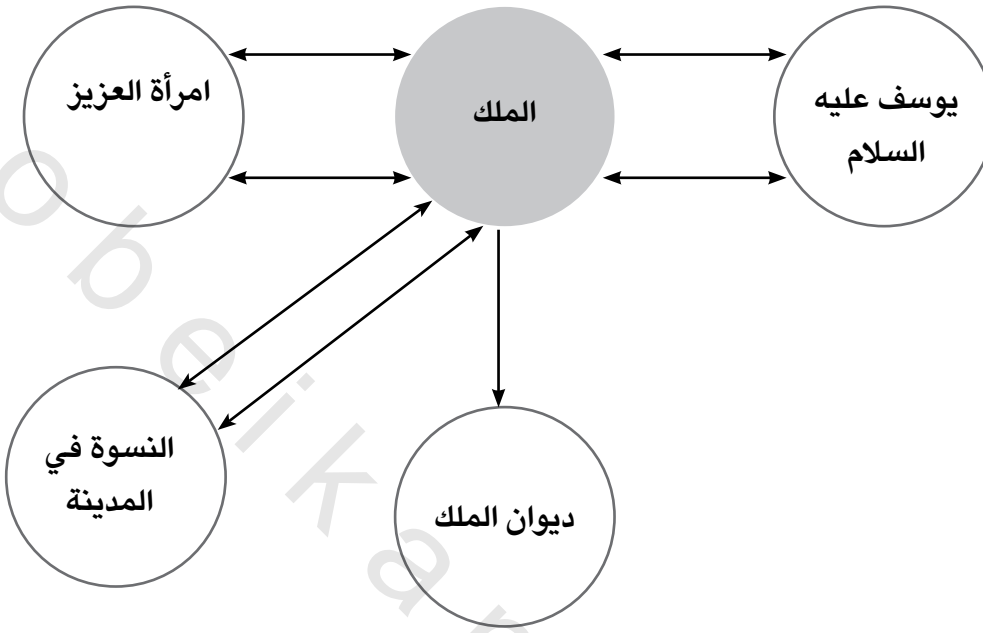

يوضح هذا المخطط جانبًا من الخطاب السلطوي، وسلوك الداعية حتى مواجهة خطاب السلطة ، وهو خطاب تمت فيه عملية الاتصال بصورة كاملة إلا في حالة (الملك مع ديوانه) الذي جاء الملك مرسلًا، وكان الديوان متلقيًا، ويظهر من الخطاب بعض صفات الملك الذي يحب العدل، ويستمع للمشورة، ويتثبت قبل أن يصدر أحكامه.

obeikandl.com

مخطط (٨):

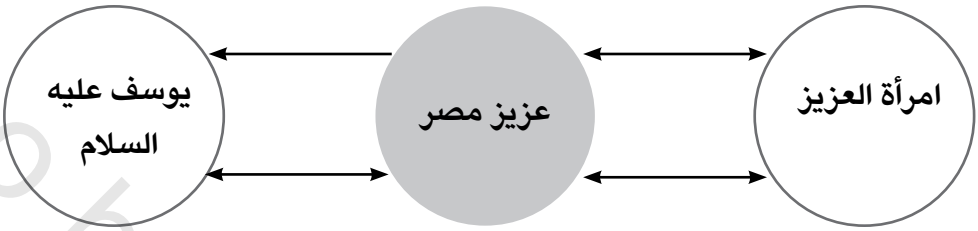

يوضح المخطط حالة اتصالية بسيطة بين رجل وزوجه داخل إطار أسري بسيط. اتسم فيه العزيز بالعقل والتريث والمشورة والتثبت قبل إصدار الحكم، وسطوة سيدة معذورة في سلوكها وتصرفها جراء جمال سيدنا يوسف عليه السلام الأمر الذي ظهر في شفقة العزيز الغالبة نحوها.

مخطط (٩):

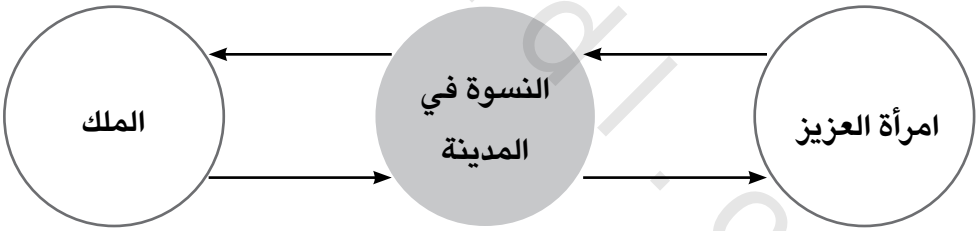

يوضح هذا المخطط دوائر الاتصال الاجتماعي، وكيف تسرب الحدث خارج القصر وأطراف التواصل فيه (امرأة العزيز - الملك - النسوة في المدينة) وكيف تحول الأمر إلى قضية عامة استوجبت دخول السلطة السياسية.

openkandil.com

obeikandl.com

المحتويات

القسم الأول: في المنهج والنظرية ٧

الفصل الأول: حول المفاهيم والمصطلحات ٨

(الخطاب الحجاجي – الاتصال - نظرية الاتصال - الكفاية اللغوية - الكفاية الاتصالية والموقف الاتصالي- الحدث الاتصالي -الواقعة الاتصالية-الاتصال عند اللغويين العرب- أطراف الاتصال في التراث العربي- المتلقي ومعنى المعنى- المتلقي وتأثير الخطاب- الرسالة - المحددات الموقفية الاتصالية في التراث العربي- نظرية الاتصال عند اللغويين الغربيين- دور السياق في تحليل الخطاب- مجال الخطاب).

الفصل الثاني: البناء الفني للقص ٤٤

(سورة يوسف بين التفسير والبناء القصصي - الوظيفة المرجعية لبنية القص- مشاهد السورة والبناء القصصي- عنصر الأحداث والحبكة – عنصر الشخصيات - عنصر الحوار- عنصر الزمن - عنصر المكان.

الفصل الثالث: القوة الإنجازية لبنية الحوار ٨٤

(عناصر الاتصال في الخطاب - سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب عليهما السلام - سيدنا يوسف عليه السلام و إخوته).

obeikandl.com

القسم الثاني: الجانب التطبيقي ١٠١

الفصل الأول: سيدنا يوسف عليه السلام - بلاغة الإرسال ١٠٢

(بين يوسف عليه السلام وامرأة العزيز - سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب عليهما السلام - سيدنا يوسف عليه السلام و إخوته - سيدنا يوسف عليه السلام والملك - سيدنا يوسف عليه السلام وعزيز مصر - بنيات حوارية متنوعة).

الفصل الثاني: سلوك الإرسال و قوته: ١٥٨

(سيدنا يعقوب عليه السلام – سيدنا يعقوب وسيدنا يوسف عليهما السلام - سيدنا يعقوب عليهم السلام مع أبنائه).

الفصل الثالث: التبادل الحواري ووحدة عناصر القص. ١٧٤

(حديث الإخوة مع بعضهم البعض - حوار المرسل مع سيدنا يعقوب عليه السلام - آيات حوار المرسل مع يوسف عليه السلام - آيات حوار المرسل مع فتيان يوسف عليه السلام - التمكين في الأرض وسلوك الإخوة - خاتمة خطاب الإخوة مع أبيهم - آيات حوار المرسل مع يوسف عليه السلام - آيات حوار المرسل مع فتيان يوسف عليه السلام، جداول ومخططات لأطراف الاتصال في سورة يوسف - مخططات أدوار الخطاب في سورة يوسف).

obeikandl.com